سوريتنا
www.souriatnapress.net
souriatna@gmail.com
السنة الثالثة | العدد (153) | 24 آب 2014

عام على مجزرة الكيماوي:

جريمة العصر مستمرة والقاتل مازال حراً

فصول من مأساة الكورد الأيزيديين

لهذه الأسباب سقطت مدينة دير الزور بيد "داعش"!

الخطاب الطائفي والصراع في سوريا

من مقبرة شهداء الكيماوي
عدسة سوريتنا Badra Mamet

روايات مروعة عن عمليات قتل جماعي داخل سجن صيدنايا

سجن صيدنايا العسكري في دمشق

دمشق | زليخة سالم

تحدث أربعة محتجزين مفرج عنهم من سجن صيدنايا العسكري، خلال العام الجاري عن جرائم قتل جماعي مروعة داخل السجن، وظروف احتجاز قاسية، مثل الاكتظاظ، ونقص الغذاء، ونقص التدفئة والتهوية، والخدمات الطبية السيئة، والظروف الصحية المتردية .

وقالت منظمة هيومن رايتس ووتش في تقرير لها نشرته على موقعها الرسمي مؤخراً، إن روايات المفرج عنهم، تؤكد ادعاءات العسكري المنشق الملقب بـ«القيصر»، والذي نشر صور آلاف الجثث في مستشفيات عسكرية بدمشق، واستند لها فريق المحامين الدوليين وخبراء الطب الشرعي في تقرير خَلُص إلى أن السلطات السورية قامت بتعذيبٍ وقتل محتجزين بشكل ممنهج .

وقال أحد الباحثين في قسم الطوارئ، أولي سولفانغ: «أضفت الرواياتُ التي قدمها الأشخاص الأربعة المُفرج عنهم حديثًا، والذين أجرينا معهم مقابلات، مصداقية أكبر على أدلة الإدانة المتوفرة بشأن عمليات القتل الجماعي في سجون سوريا، وعندما تتم محاسبة السلطات السورية، ستكون عمليات القتل أثناء الاحتجاز واحدة من الجرائم الأولى التي سيتعين عليها الإجابة عنها.

وأضاف: «لقد تم توثيق جرائم الحكومة السورية بشكل جيد، إلا أن هذه الصور تقدم دليلا قويا آخر عن المعاملة الرهيبة التي يلقاها معارضو الحكومة، لن يحتاج مجلس الأمن إلى أدلة أكثر قوة لاتخاذ إجراءات دولية تردع سورية عن ارتكاب مزيد من الجرائم».

وقال المحتجزون السابقون لفترة تتراوح بين 21 و30 شهرًا، أمضوا أغلبها في سجن صيدنايا، للمنظمة إنهم شاهدوا محتجزين آخرين يموتون بسبب الضرب والتعذيب وسوء التغذية والمرض، وعاشوا كغيرهم ظروفا قاسية جدا، مثل الاكتظاظ، ونقص الغذاء، ونقص التدفئة والتهوية، والخدمات الطبية السيئة، والظروف الصحية المتردية، مما جعلهم يعانون من الإسهال والأمراض الجلدية، حيث فقدوا الكثير من وزنهم أثناء فترة الاحتجاز.

وأكدت هيومن رايتس ووتش أن روايات الشهود المتعلقة بخسارة الوزن تتطابق مع الصور التي التقطها قيصر، فالجثث المصورة بدت هزيلة جدا، واتسمت ببروز الضلوع وعظام الورك ووجود تجويفات على مستوى الوجه، ونقلت عن اثنين من المحتجزين السابقين، أنهما شاهدا نقل الجثث من سجن صيدنايا إلى مستشفى تشرين العسكري، المعروف بالمستشفى 607، شمال دمشق، وهو ما يتناسب مع مزاعم قيصر بأنه تم تجميع بعض الجثث في هذا المستشفى، وإن صوره التقطت هناك.

كما قال محتجز سابق، إنه كانت توجد سبع جثث في الشاحنة التي نقلته إلى مستشفى تشرين لتلقي العلاج. بينما تحدث محتجز آخر، عن وجود جثتين في العربة التي نقل فيها إلى مستشفى تشرين للمرة الثانية. وقال إن حراس السجن أجبروه على وضع قرابة 20 جثة في أكياس بلاستيكية أثناء فترتي إقامته في المستشفى .

وقال المحتجزون السابقون إن سلطات السجن كانت تضع أرقام هوية على السجناء وأيضا على الجثث أثناء نقلها إلى المستشفى، وكثيرا ما تكتب هذه الأرقام على الجبين. ويظهر في صور قيصر التي قامت هيومن رايتس ووتش بمراجعتها، شخص وهو يمسك ورقة عليها رقم، بينما يظهر الرقم في صور أخرى مكتوبا بشكل مباشر على الجثة .

وشاهد المحتجزون، وعانوا أيضا، من أعمال تعذيب مروعة في سجن صيدنايا وغيره من فروع أجهزة الأمن التي احتجزوا فيها في البداية، بما في ذلك فروع المخابرات العسكرية 293 و215، المعروفة بفرع فلسطين، وفرع المخابرات الجوية في المزة، وفرع المخابرات العسكرية في اللاذقية، وقالوا:

وضعتنا سلطات سجن صيدنايا في زنزانات صغيرة أعدت للحبس الانفرادي في الطابق الأرضي أو في واحد من طابقين تحت الأرض، في مساحة تقل عن مترين مربعين، ما بين خمسة وتسعة محتجزين، وكنا مجردين من ملابسنا باستثناء الملابس الداخلية، وكلما نام اثنان منا، بقي الاثنان الآخران واقفين، ويتعين علينا النظر إلى الجدار كلما فتح الباب، وكان حراس السجن يضربوننا بالخراطيم والكابلات، وأحيانًا يصبون علينا الماء، فنشعر بالبرد الشديد لأن درجة الحرارة كانت دون عشر درجات مئوية في ذلك الوقت، وكانوا يلقون علينا الأكل، أو يضعونه على ثقب المرحاض وسط الغرفة فنضطر إلى أخذه من هناك.

وفي وقت لاحق، قامت سلطات السجن بنقل المحتجزين إلى زنزانات أكبر في الطوابق العليا، طول الواحدة ثمانية أمتار وعرضها سبعة أمتار، وفي كل واحدة منها 27 أو 28 أو 25 محتجزاً، حيث كان يدخل 15 حارساً إلى الزنزانة يجلبون الطعام مترافقاً مع الضرب بالعصي الكهربائية والخراطيم المعدنية والبلاستيكية، وتتراوح شدة الضرب حسب التقدم الذي تحرزه المعارضة على الأرض .

وشاهد باحثو هيومن رايتس ووتش، حسب التقرير، ندوبا وكدمات على ظهور المحتجزين الذين أجريت معهم مقابلات مباشرة، وقاموا بتوثيقها، وكانت هذه العلامات متناسبة مع روايات الشهود حول تعرضهم إلى الضرب على يد الحراس بالخراطيم، وتظهر العلامات التي يحملها أحدهم، أثر الضرب بشيء طويل مثل الخرطوم.

وتحدث المحتجزون عن الحالات المرضية من إسهال، وقروح، وجرب، وانتشار البراغيث، وافتقار الزنازين إلى الهواء النقي، ومنعهم من الاستحمام إلا فيما ندر، وعن المساعدة الطبية المحدودة، وعن قيام بعض الأطباء بضرب المعتقلين إذا طلبوا دواء أو اشتكوا من المرض، وعن الزيارات مدفوعة الثمن من قبل عائلاتهم، وعن الضرب حتى الموت للمعتقلين، ونقل المرضى منهم في السيارات التي ينقلون بها جثث الشهداء، وإجبارهم على نقل الجثث العارية جانباً، وقراءة الأرقام المدونة على كل منها لتسجيلها في قوائمهم .

وطالبت المنظمة الحكومة السورية السماح لمراقبين دوليين مستقلين ولجنة تقصي الحقائق في سوريا، بزيارة جميع مراكز الاحتجاز. كما يتعين على سوريا الامتثال للقرار رقم 2139 الذي دعا إلى الكف عن أعمال التعذيب في السجون السورية، والإفراج عن جميع الأشخاص المحتجزين تعسفا.

أزمة مياه في دمشق

دمشق – إنليل فارس

تحولت حياة السوريين إلى سلسلة أزمات، يلهث خلف حلها المواطن كراكض وراء السراب، فما أن يعتقد أنه تخلص من إحداها حتى تخرج عليه بعد فترة بشكل أبشع، لم يستطع النظام حل أي منها، بل كان فقط يرحلها إلى المستقبل.

ومن أهم هذه الأزمات نقص المياه الشديد، وانقطاعها عن بعض الأحياء لأيام طويلة، بالطبع قد يعتبر هذا غير جدير بالذكر عندما نتحدث عن المناطق المحاصرة ومقطوع عنها الماء والكهرباء منذ أشهر، لكن عندما تكون الأزمة في عقر النظام فهذا شأن آخر.

تراخيص لصهاريج بيع المياه

وعقب أشهر من شكوى العطش من قبل أهل دمشق، وتركهم للمتنفذين وحكام الشارع من عناصر الدفاع الوطني «سيئي السمعة»، الذين باعوهم المياه من الآبار العامة، بـ1200 ليرة للبرميل الواحد، خرجت المؤسسة العامة للمياه والصرف الصحي، بقرار ينظم ترخيص بيع المياه عبر صهاريج معتمدة من قبلها بسعر 50 ليرة للبرميل، ما يعادل 7 أضعاف الشريحة الثانية من تعرفة المياه الرسمية والبالغة 7 ليرات لـ6-15 متر مكعب، بدلا من أن تضخ المياه بشكل تصل به إلى كل ساكني دمشق.

وكان المدير العام لـ«الهيئة العامة للموارد المائية» في النظام قال، في تصريح صحفي، إن إجمالي موارد المياه المتاحة في سورية حاليا لا تتجاوز 16 مليار م3، بعد عملية البخر، الأمر الذي يجعل سورية تحت خط الفقر المائي.

وأوضح أن سورية كي لا تكون تحت خط الفقر يجب أن يصل إجمالي موارد المياه المتاحة في سورية إلى 23 مليار م3 من المياه، على اعتبار خط الفقر المائي هو ألف متر مكعب من المياه سنوياً للفرد سواءً من الطرق التقليدية مثل الينابيع والأنهار والسدود، أو الطرق غير التقليدية مثل مرتجعات الصرف الزراعي ونواتج محطات المعالجة، ما يعني وجود فجوة مائية في سورية تبلغ حوالي سبعة مليارات م3.

الصحفي الأميركي جيمس فولي ضحية أخرى على يد داعش

سوريتنا | حسن صالح

طالبت منظمة هيومن رايتس ووتش، السلطات الحكومية في سوريا، والمجموعات المسلحة المناوئة لها، بالإفراج فوراً عن الصحفيين ونشطاء حقوق الإنسان، ومقدمي الخدمات الإنسانية والطبية، وأن تكف عن اعتقالهم أو اختطافهم أو احتجازهم بشكل تعسفي.

وكانت داعش نشرت مقطع فيديو، يُصور عملية إعدام للصحفي جيمس فولي، وأعلنت أنها تحتجز أيضًا الصحفي الأمريكي ستيفن سوتلوف، وإن مصيره مرتبط بالـ «سياسة الأمريكية المستقبلية» ضدّ التنظيم المتطرف.

وقال بيتر بوكيرت مدير الطوارئ في المنظمة: «ذهب جيمس إلى سوريا لالتزامه بكشف الفظاعات التي يتعرض لها المدنيون، منذ اندلاع الانتفاضة ضدّ الحكومة هناك، وكبقية الصحفيين المحتجزين في سوريا، عرّض جيمس حياته إلى الخطر كي يعرف العالم حقيقة ما يجري، وعمل على وضع حدّ لمعاناة الشعب السوري، وأقدمت داعش على عمل هو قمة الجبن، بقتلها على ما يبدو، جيمس فولي لتسجيل نقاط سياسية، على النقيض تماما من تحليه هو بشجاعة وحس إنساني كبيرين، وبينما ترك جيمس فولي موروثاً سيُلهم العالم من بعده، سيلتحق قاتلوه بصف أولئك الذين لم يجلبوا لأنفسهم شيئًا سوى العار.

لجنة حماية الصحفيين التابعة للأمم المتحدة اعتبرت في تقرير لها أن سوريا هي أخطر بلد على الصحفيين في العالم، وخلصت إلى أن ما لا يقل عن 69 صحفيًا آخرين لقوا حتفهم أثناء تغطية الحرب الدائرة فيها، بينما تعرض 80 آخرون إلى الاختطاف، من بينهم قرابة 20 مازالوا في عداد المفقودين. ويُخشى أن يكون بعضهم محتجزا لدى داعش، كما وثقت هيومن رايتس ووتش ومنظمات أخرى، عشرات الحالات التي قامت فيها القوات الحكومية باحتجاز صحفيين.

الصحفي جيمس فولي في سوريا أثناء عمليه في غلوبال بوست

© dapd

كان جيمس فولي المختطف منذ تشرين الثاني 2012 يعمل صحفيًا مستقلا في الشرق الأوسط لمدة خمس سنوات، وقام بتغطية النزاعات في أفغانستان وليبيا وسوريا، لصالح غلوبال بوست، ووكالة الأنباء الفرنسية، ووكالات دولية أخرى. وإضافة إلى عمله الصحفي، ساعد جيمس فولي هيومن رايتس ووتش في توثيق انتهاكات حقوق الإنسان عبر الفيديو، وكان أيضًا واحدا من المخرجين الذين أعدوا مع فريق الطوارئ في المنظمة، الفيلم الوثائقي: «فريق الطوارئ».

وأشارت المنظمة كذلك، إلى توثيقها اختطاف داعش لأشخاص مدنيين في سوريا، كما يتحمل التنظيم مسؤولية إعدام مدنيين سوريين، واستنادًا إلى روايات مباشرة وشهادات مسؤولين أكراد محليين، دخلت داعش في 29 أيار قرية التليلية قرب رأس العين شمال سوريا دون مقاومة، وأعدمت ما لا يقلّ عن 15 مدنيًا، من بينهم سبعة أطفال، وفي 17 آب، قالت تقارير إخبارية إن داعش أعدمت ما لا يقلّ عن 700 شخص من عشيرة الشعيطات في محافظة دير الزور، كان الكثير منهم من المدنيين.

من جانبها، قالت صحيفة ديلي ميل البريطانية، إن منفذ عملية ذبح الصحفي الأمريكي، هو لندني يدعى جون، انضم لعصابة متطرفة في بريطانيا تسمى «بيتلز»، واستندت أجهزة الأمن البريطانية؛ لمعلومات حصلت عليها من أحد المحتجزين السابقين بداعش، والذي أخبرهم بهوية الشخص الذي ظهر بالفيديو، حيث أكد أنه تعامل معه سابقا أثناء احتجازه.

«لا تلمس أخي» مبادرة نشطاء أتراك للتخفيف من حدة الاحتقان ضد اللاجئين السوريين

ملصق إعلاني باللغتين العربية والتركية وزعه القائمون على المبادرة التي نظمتها إحدى الجمعيات المدنية وأطلقها ناشطون في تركيا بعنوان « لا تلمس أخي » للتخفيف من حدة التوتر الذي شهدته مدينة غازي عنتاب التركية مؤخراً .

ويحمل الملصق عبارات «المهاجرون السوريون إخوتنا»، و«لا تلمس أخي»، و«لنقل قف للعنصريين والانفصاليين».

كما شهد أشهر شارع في اسطنبول أمس، مظاهرة تنادي بشعارات لاحترام اللاجئين السوريين ومحاسبة الشباب الأتراك الذين أساؤوا لهم، وأيضا محاسبة المسيئين من اللاجئين بنفس الوقت.

السلطات اليونانية تحتجز 108 لاجئ فلسطيني سوري

سوريتنا | تقارير ووكالات

تحتجز السلطات اليونانية 108 شخصاً من اللاجئين الفلسطينيين السوريين الذين فروا من الحرب الدائرة في سورية، واضطروا لسلوك طريق الهجرة غير الشرعية مع ما فيه من مخاطر السفر بحرا، في ظروف صعبة وغير إنسانية .

ونقلت الرابطة الفلسطينية لحقوق الإنسان في سورية عن شهود عيان أن السلطات اليونانية تحتجز اللاجئين في أماكن سيئة لا تتوفر فيها مقومات الحياة، ولا تراعي وجود الأطفال والنساء وبعض المرضى والجرحى المصابين في سورية بين اللاجئين، إضافة إلى سوء معاملة الأمن اليوناني لهم .

وأكد المحتجزون أنهم أطلقوا عدة نداءات استغاثة للصليب الأحمر الدولي، للتدخل وحل قضيتهم، دون جدوى ولم تتحرك أي تحرك أو استجابة من أي جهة لإنقاذهم .

وطالبت الرابطة السلطات اليونانية مراعاة وتطبيق معايير الاحتجاز وأهمها التقديم لمحاكمة عادلة في حال وجود أي تهم، وتأمين مكان الاحتجاز المناسب إذ أن المعاملة غير الإنسانية التي تعرض لها المحتجزون حسب رواياتهم، تخالف المادة 5 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والمادة 7 من العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، وكلتاهما تنص على عدم جواز تعرض أحد للتعذيب أو المعاملة أو العقوبة القاسية وغير الإنسانية أو المهينة، إضافة لمخالفة اتفاقية منع التعذيب وغيره من ضروب المعاملة المهينة وغير الإنسانية .

وأكدت الرابطة ضرورة مراعاة السلطات اليونانية لقواعد ومعايير معاملة اللاجئين وخاصة تلك التي وقعت عليها اليونان ضمن الاتحاد الأوروبي والأمم المتحدة، وضرورة تدخل الصليب الأحمر الدولي لتحسين ظروف احتجازاللاجئين وحل قضيتهم كونها إنسانية بحتة .

وطالبت الرابطة المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين تولي مسؤولياتها تجاه هؤلاء اللاجئين كونهم خارج نطاق عمل الأونروا حالياً، ومن مسؤولية المفوضية التحرك لمساعدتهم .

من جانب آخر ارتفع عدد الشهداء الفلسطينيين تحت التعذيب في سجون نظام الأسد منذ بداية الشهر الحالي إلى 20 شهيداً، بعد استشهاد التوأم علي وحسن سامي أبو العينين مواليد 1994 الذين اعتقلا مع العشرات من أهالي مخيم اليرموك من حاجز حجيرة في بداية العام .

الملك لير في مخيم الزعتري

أثناء عرض المسرحية

فرح خواجة - مخيم الزعتري

"كنت أحلم أن أكون معلمة، وكنت أفرح بهذا الحلم، بدأت الحرب وجئنا إلى هنا ولم تسنح لي فرصة الفرح حتى بدأنا بالتمثيل في هذه المسرحية".. هكذا قالت وئام، الفتاة السورية ذات ال12 عاماً وهي تؤدي دور كورديليا في مسرحية "الملك لير" لشكسبير، في مخيم الزعتري التي أخرجها السوري نوار بلبل في يوم المسرح العالمي بإمكانيات بسيطة وعلى مسرح مكون من الحصى وبحضور مجموعة من الفنانين السوريين والأردنيين في المخيم.

العمل الذي قدم في المخيم اعتبره الكثيرون سابقة ليس فقط في مخيمات اللجوء السورية، بل في مخيمات المضطهدين في العالم.

وفي ختام العمل عرض الأطفال المشاركون لوحة بطول 500 متر رسمها الأطفال المشاركون نفسهم داخل خيمة شكسبير التي تدربوا فيها، وللمرة الأولى تلاحظ فرح، إحدى المتطوعات في العمل مع الأطفال في الزعتري غياب رسومات الرصاص والدبابات لتحل محلها الأميرات والقصور والورود.

فريق عمل تجمع المهندسين الأحرار في حلب ينجز دراسة توثيقية لأضرار المباني في المدينة

حلب | حي بستان الباشا | عدسة شاب حلبي | 2014

حلب | لمى علوان

عامان من الجهد المتواصل أثمر عن إخراج دراسة لفريق عمل تجمع المهندسين الأحرار في حلب، توثق للأضرار التي أصابت المباني كخطوة أولى نحو تعويض المتضررين وإعادة الأعمار في سورية، حسب رئيس المكتب التنفيذي الدكتور المهندس عبد الله صغير.

ووثقت الدراسة 33 حياً في حلب من قبل فريق العمل وفق أسس علمية ومهنية متوافقة مع المعايير المحلية والدولة لضمان أعلى جودة في العمل، وهذه الأحياء هي: الحمامات والشيخ خضر والزيتونات والمعصرانية وبستان الباشا وكرم البيك والشيخ فارس والصاخور والصالحين والفردوس والهلك الفوقاني وكرم الواوي وكرم حومد، ومساكن هنانو والأرض الحمر والانذارات والشعار والمرجة والمعادي وضهرة عواد وطريق الباب وكرم الخياطة والحيدرية وسد اللوز والمشهد وسعد الأنصاري وباب النيرب وقاضي عسكر وجبل بدرو والشيخ جاكير وبعيدين والأنصاري الشرقي وحلب القديمة.

وبينت الدراسة التي نشرت على موقع التجمع، أن عدد المنازل المتضررة من الناحية الهندسية لغاية 1/1/ 2014 بحدود 2574 منزل، منها 1372 منزلاً تم تدميره بشكل كامل، و1103 منازل تم تدميرها بشكل جزئي، وتعرض للحرق 64 منزل، وتصدع 35 منزل.

وذكر الفريق أنّ بعض الأحياء ذات نقاط التماس مثل حي صلاح الدين وحي الإذاعة لم يتم العمل عليها، لأنّها نقاط تماس واشتباكات يصعب العمل فيها.

وبلغ عدد الأبنية المتضررة في الأحياء التي تم إجراء المسح فيها والبالغ عددها /33/ حي بحدود 471 مبنى لغاية 1-11-2013، منها 116 مبنى تم تدميره بالكامل، و335 مبنى تعرض للدمار الجزئي و14 مبنى تعرض للحرق و7 مباني تصدعت.

وبلغت الكلفة التقديرية لإعادة إعمار المباني التي تم توثيق الأضرار فيها من الناحية الهندسية بحدود /21476733/ دولار (واحد وعشرون مليوناً وأربعمائة وستة وسبعون ألفا وثلاثة وثلاثون دولار أمريكي.

وكشفت الدراسة أن أكثر حي تضررت فيه المنازل هو حي الأرض الحمرا حيث بلغ عدد المنازل المتضررة 399 منزل، ومنهم 339 منزل دمر بشكل كامل وذلك بسبب سقوط صاروخ سكود في الحي، وأن أكبر قيمة لإعادة إعمار المنازل المتضررة كان في حي جبل بدرو /5014286/ وذلك بسبب سقوط صاروخ سكود في هذا الحي أيضاً.

وتم توثيق ومسح الأضرار لـ 85 مدرسة في مدينة حلب في الأحياء المدروسة تعرضت للقصف والتخريب المباشر لغاية بداية العام الجاري، وتبلغ كلفة إعادة تأهيلها من الناحية المدنية /2/ مليون دولار.

كما تم توثيق تعرض /16/ مسجداً للدمار والحرق والقصف، وتبلغ الكلفة الهندسية لإعادة أعمارها بحدود97700 دولار،

وتم توثيق 4 مراكز صحية تعرضت للقصف، منها ما تعرض للهدم بشكل كامل، ومنها ما يحتاج إلى هدم لأن حالته الإنشائية خطيرة، ومنها ما يحتاج إلى ترميم وإصلاح، وتبلغ الكلفة المالية لإعادة أعمار المشافي التي تم دراستها حتى بداية العام بحدود 698872 دولار.

ملكية طلاس في «لافارج» باسم المالية

سوريتنا - دمشق

قامت «وزارة التجارة الداخلية وحماية المستهلك، بنقل ملكية رجل الأعمال حسن فراس طلاس في الشركة السورية للأسمنت "لافارج للأسمنت – سورية"، لتسجل باسم «وزارة المالية»، والمقدرة بـ200 مليون ليرة سورية.

يشار إلى أن فراس طلاس رجل أعمال، ويملك مجموعة «ماس الاقتصادية»، وكانت "وزارة المالية" ألقت في وقت سابق الحجز على أموال رجل الأعمال فراس طلاس وزوجته سيدة الأعمال رانيا الجابري، حيث جاء في نص القرار "ضماناً لحقوق الدولة والأفراد.

دعوات لربط قضية اللاجئين السوريين بوصفها إحدى القضايا التحررية الكبرى في العالم

سوريتنا | رقية سمسم

دعا نشطاء ومفكرين ومهتمين بشكل عام بحقوق اللاجئين في بيان لهم "بمناسبة اليوم العالمي لدعم الثورة السورية الذي يصادف يوم 21/ آب " المنظمات الاجتماعية والمجموعات التحررية إلى إدراج قضية اللاجئين والمهجرين السوريين كبند رئيس في أنشطتها الاحتجاجية والتضامنية، مع ربطها بالقضية السورية ككل، بوصفها إحدى القضايا التحررية الكبرى في عالم اليوم.

وقال الموقعون على البيان العالمي للتضامن مع اللاجئين السوريين: للجوء معضلة قانونية وإنسانية مصطنعة ليس لها عرق أو جنس أو دين، التمييز في الحقوق والضمانات بين اللاجئين على أي أساس مدان وغير مقبول.

إن قضية اللاجئين من سورية، والفلسطينيين من ضمنهم، قضية سياسية أولا، وهي نتيجة صراع سياسي تحرري من أجل الكرامة ضد نظام إجرامي، استخدم الطيران الحربي والصواريخ الباليستية والسلاح الكيماوي ضد محكوميه، بالإضافة إلى القتل الممنهج بتجويع المدنيين وتعذيب المعتقلين، صراع أيضا ضد كيان داعش الإجرامي الذي ينافس النظام الأسدي في الوحشية والإجرام، وعليه فإن الوقوف إلى جانب اللاجئين من سوريا يتطلب أولا التضامن مع صراعهم من أجل الحرية والكرامة والعدالة الاجتماعية في سورية.

لكل لاجئ حق العودة إلى بلده بكرامة، إن وجود شركاء يستمعون للاجئين، يحاورونهم ويتعاونون معهم حتى يستأنفوا حياتهم في شروط مغايرة، ويجدوا أعمالا ينفقون منها على أنفسهم، ويوفروا لأطفالهم فرصا لم تتح لهم هم، ويعاودوا بناء هويتهم وأدوارهم، مكون أساسي لهذا الحق وأحد سبل تحقيقه، اللاجئون رحالة بين الدول في بحث حثيث عن منفى يحفظ لهم كرامتهم الإنسانية، وهذا هو حال رحلة السوري نحو ملجئه كما هو موثق في الكثير من الدراسات والاحصاءات، ومن خلال التجربة العملية للنشطاء في الدول المختلفة، فإن كانت الدول والحكومات تنسق فيما بينها أمنيا في مراقبة الحدود، فإن هذا التنسيق غائب عن المنظمات الأهلية والنشطاء الذي يقدمون الدعم للسوريين في بلدان اللجوء المختلفة، وبالتالي فإن التضامن مع قضية اللاجئين من سورية يقتضي تنسيقا أوسع بين النشطاء والمنظمات الأهلية المعنية في مختلف الدول على طرق اللجوء عبر المتوسط والقارة الأوروبية .

وجاء في البيان: يعيش الملايين من اللاجئين والنازحين في العالم معضلاتهم الإنسانية والقانونية في المساحة الضيقة بين الحدود الرسمية للدول في عالم لا يعترف بهم وبإنسانيتهم إلا عندما ينبذهم، ويتحمل الشعب السوري شقاء اللجوء هذا بشكل خاص وغير متناسب في عالم اليوم، حيث باتوا يشكلون واحد من كل خمسة لاجئين في العالم، وتحول 40٪ من السوريين إلى نازح ولاجئ .

صار اللجوء تجربة مؤسسة للوطنية السورية، مثلما هو الحال بخصوص الفلسطينيين، وصارت عودة اللاجئين والمهجرين إلى ديارهم وجها أساسيا من وجوه استعادة السوريين لبلدهم وحق تقرير مصيرهم فيه.

يعيش اللاجئون السوريون أوضاعا بالغة السوء في لبنان ومصر، وسيئة في الأردن، والوضع في تركيا يزداد سوءا بشكل مقلق وخاصة مع ازدياد وتيرة الاعتداءات عليهم، وتغييرات قانونية غير واضحة المعالم والآثار حول شروط إقامة وتسجيل القادمين من سورية .

ومن بين اللاجئين من سوريا يعيش الفلسطينيون السوريون في فراغ قانوني مصطنع، يستثنيهم من الكثير من الضمانات والحقوق المكفولة دوليا للاجئين بشكل عام، أو للاجئين الفلسطينيين وفقا لنظام الحماية الدولية الخاص بهم، فدول لبنان والأردن ومصر وتركيا لا تسمح باستقبالهم، ومن دخل منهم إلى مصر مثلا محرومون بقرار سياسي من رعاية الوكالات الدولية المختصة، ولا يحوزون الأوراق التي تتيح لهم الوصول إلى بلدان أبعد، الفلسطينيون السوريون بوصفهم لاجئين مضاعفين يمثلون أقاصي الوضع الإنساني، طردتهم إسرائيل المدللة من ديارهم، وشردهم عدوان النظام الفاشي الأسدي من مخيماتهم المكتظة، وقلما يستقبلون في مناف جديدة.

وعندما يحاول اللاجئ من سورية أن يباشر لجوءه الثاني هربا من الاضطهاد أو شقاء الحال في بلدان اللجوء الأول، يصطدم بأسوار قانونية وأمنية شيدتها الدول الأوروبية حول حدودها لمنع الهاربين من المذابح من الوصول إليها. وهكذا ترد الأخبار بين حين وآخر عن غرق قارب في المتوسط كان يحمل المئات من اللاجئين من سوريا دفعوا مدخراتهم لبزنس تهريب مزدهر بغرض أن يصلوا إلى أوروبا، أما من ينجحون في الوصول فيتواتر أن يُحجزوا في معسكرات تشبه السجون لمدد قد تطول شهورا، ودون ضمان أن يتم الاعتراف بهم في النهاية كلاجئين .

وأوضح الموقعون على البيان أن كيان داعش الإجرامي أسهم في مفاقمة اللجوء السوري (وفي تهجير مسيحيين وإيزيديين، ومسلمين أيضا، من العراق)، وهذا لأنه قائم جوهريا على التهجير والتطهير العرقي وتغيير التركيب الديمغرافي للمناطق التي يسيطر عليها. وهو من جهة أخرى غذى عصاب الريبة حيال اللاجئين السوريين عند الدولة المضيفة وألحق قضية اللاجئين بملف مكافحة الإرهاب، وعلى هذا النحو، وقع السوريون بين نظام فاشي يقتلهم ويهجرهم، وبين تشكيل فاشي يقتلهم ويهجرهم أيضا، وبين عالم غير عادل لم يساعدهم في بلدهم، ولا يساعدهم وهم مضطرون للخروج منه.

إن وضع اللاجئين السوريين في لبنان والأردن ومصر مشين، وفي تركيا يتدهور، ويبدو بمجمله مصمما لتلقين شعوب المنطقة كلها درسا في عواقب الثورة على نظم مجرمة تحكمهم، أما سياسات اللجوء الأوروبية والأمريكية فهي شحيحة، تمييزية على أساس طبقي وديني، وغير إنسانية، فهي ترحب بالميسورين وأصحاب الكفاءات العلمية فتفتح الأبواب لهم، وبكل علمانية تقول للاجئين غير المسلمين أهلا وسهلا!

مخيم الزعتري في الأردن | 2014

مجازر "الدولة" في عيون "رعاياها"

■ الرقة – ناصر المحمود

تتقدم الدولة الإسلامية في مناطق الثوار، وبعد كل معركة تقوم بسَوق الأسرى لديها وتتفنن بقتلهم، بالرصاص تارة، وبالذبح تارة أخرى، كل ذلك، والناس سواء في مناطق سيطرتها، أو في أي مكان آخر من سوريا، أو في مناطق أخرى من العالم المتمدن، يقفون مشدوهين غير مصدقين, إذ ندر في تاريخ المنطقة والعالم أن أبدى تنظيم عسكري ديني هذا القدر من القسوة والدموية مهما كان المتغير التاريخي.

وخلال الأسابيع الماضية، عادت مشاهد القتل بشكل كبير إلى الواجهة، بعد قيام تنظيم "الدولة الإسلامية" بارتكاب مذابح في ريف دير الزور، ثم وبعد تقدم التنظيم باتجاه ريف حلب الشمالي، قام بإعدامات في "الراعي" قبل أسابيع، وبأخترين وتركمان بارح منذ أيام، فكيف ينظر الناس إلى هذه الأفعال، خصوصا في مناطق سيطرتها داخل الأراضي السورية، وما الدوافع التي يعتقدون بأنها يمكن أن تكمن وراء هذا النوع من السلوك الإجرامي.

الطبيب (محمود. م)، رأى أن ما اعتبرها "الدولة الإسلامية" تريد أن تثبت حكمها، فلا بأس بـ"القليل من الشدة اليوم، لتحقيق الحكم الإسلامي على منهاج النبوة".

محمد، وهو مدرس، أوضح لنا على النقيض من ذلك، أن كل ما تقوم به داعش ما هو إلا بهدف تمزيق سوريا تمهيدا لتقسيمها، وتنفيذ سياسات إيران في "محاربة وقتل المسلمين، داعش هي بلا شك صناعة مخابراتية إيرانية أسدية، قامت بقتل خيرة المقاتلين ممن عجز النظام عن قتلهم، وقدمت أفضل خدمة للنظام، إذ ماذا كان بوسعها أن تقدم أكثر من تحويل الثورة إلى مسألة إرهاب في نظر العالم، حتى أصبح السوريون اليوم، يبحثون عن منفى يحميهم، بأكثر من بحثهم عن وطن حقيقي يشيدون فيه مستقبلا لأبنائهم.

لكن أكثر ما يثير الحنق والغضب والاستياء برأي سمير، وهو طالب جامعي، وحشية التنظيم مع معارضيه. "قتل المسلمين بوحشية والتمثيل بهم، ولعب الكرة برؤوس المجاهدين الذين كان لهم الفضل في تحرير مناطقنا من نظام الأسد، هذا يؤلمني كثيراً، ويؤلمني بصراحة أن أرى تونسيا أو مصريا أو شيشانيا يقتل المجاهد الذي حرر قرانا من نظام الأسد.

التآمر الغربي، برأي آخرين، هو جوهر المشكلة. عادل يضيف: "الغرب يستخدم داعش لتمكينها من المنطقة كلها، وذلك بإعطائهم الأوامر للمالكي لسحب جنوده، وترك أسلحتهم لداعش، والتي بدورها استخدمتها لاحقا كما تبين لنا جميعًا، لتنفيذ عمليات القتل بحق المجاهدين في سوريا ومصادرة انتصارات الثوار في سوريا، شوهت داعش الإسلام في نظر العالم كله، وذلك بنشر مقاطع الذبح والصلب وغيرها من الفظائع"، وتابع قائلا: "نظرة العالم للدين الإسلامي تأثرت بسبب رعونة وغلو داعش، بتنا جميعنا مدانين ومتهمين بالدموية".

من وجهة نظر أخرى، هناك من يستسيغ قسوة التنظيم، تجاه الجنود النظاميين الذين قد يقعون في قبضته، سواء في سوريا أو العراق, فـ محمد خير، وهو من مواطني مدينة الرقة الخاضعة لسيطرة التنظيم، قال لنا إنه يؤيد أعمال عناصر تنظيم الدولة، إذا كانت موجهة "ضد من قتل أطفال الحولة بالسكاكين، نؤيدها إن كانت لبث الرعب في قلوب القتلة من النظام وميلشياته الشيعية، ولكن القتل بهذه الطرق بحق المسلمين الموحدين، الذين ساهموا بتحرير هذه المناطق من نظام الأسد هو الأمر الذي لا يمكن نقبله ولا يمكن لعاقل أن يتقبله".

خلال جولتنا الاستطلاعية، عكفنا على استنطاق مختلف شرائح المجتمع. حسان، وهو صاحب محل تجاري في أحد الأسواق الرئيسية، اعتبر أن "السوري أصبح بين محرقة الأسد ونظامه الطائفي الذي يقتل على الهوية، ونظام الدولة الإسلامية المتشدد، والذي يعالج القضايا على هواه، كي يصل لتثبيت حكم أبدي، وما عمليات القتل التي ينفذها بحق الجيش الحر إلا لترهيب الناس كي يخضعوا لقوانينهم دون تردد"، وأضاف: "الدولة وبشار اجتمعوا على إنهاء الثورة، وسيخرجون من بلادنا بعد أن يضمنوا نجاح الأسد في استعادة السيطرة على كامل الأرض السورية، أعتقد أن هذا سيصير أسهل بعد تنفير الناس من الدين الإسلامي، ولا يفعل هذه الأفعال إلا الحاقد على الإسلام والمسلمين".

مسألة تنفيذ الشرع، بالفهم الذي يحمله التنظيم، لربما هي الدافع الأول الذي قد يسارَع إلى ربطه بسلوكها، لكن محمد المدرس في إحدى ثانويات الرقة، رأى أن في الأمر تجنيا أصبح ملحوظاً. "ما تقوم به الدولة الإسلامية من تنفيذ الشرع، لا يناسب كثيرين يقفون موقفا استلهاميا تجاه الغرب ويعتبرونه مشعل حضارة، هؤلاء يشاركون الغرب عداءهم تجاه الإسلام، لذلك يعتبرون قتال المرتدين جريمة، مع أن قتال المرتدين واجب، الدولة فتحت باب الاستتابة أمام الناس، ولم تحنث بعهد، وقوانينها تنفذ على جنودها قبل غيرهم، فقد رجمت أحد جنودها في الميادين في دير الزور لأنه اغتصب فتاة، وغطى إعلام التنظيم حادثة الرجم قبل غيرهم".

سعيد، الطالب الجامعي المتوقف عن الدراسة حاليا بسبب إغلاق جامعته، والمقيم في الرقة، حمّل من جهته الفصائل الثورية بعض المسؤولية. "ما أنهى الثورة إلا إخوتنا بالمنهج، وإخوتنا قد بغوا علينا، وجميع الفصائل تتحمل تمدد داعش سواء بالإدارة السيئة للمناطق قبل سيطرة داعش أو بعدم محاربتهم بالشكل الذي يحول دون دخولهم مناطق الثوار، وأصحاب أنصاف الحلول هم من يصفقون للأقوى دوماً، وهذا من ثبّت حكم داعش وأعطاهم الغطاء لينفذوا ما يحلو لهم بحق الناس دون أن يكون هناك من يردعهم".

وأكد عمرو وهو طالب جامعي آخر من سكان المدينة، أن هذه التصرفات التي تتتالى كلما سيطر التنظيم على منطقة جديدة "لم يفعلها إلا التتار والمغول الذين كانوا يعتمدون على الترهيب لبسط السيطرة، ويجب على الثوار الذين خرجوا ضد بشار الأسد أن يخرجوا

إقامة حد السرقة في الرقة

ضد تنظيم الدولة الباغي وأساليبه البربرية، هذا أساسي في مسألة تحرر السوريين".

وللعناصر الأجانب المنضوين تحت راية التنظيم، حصة من الإشكال الكامن في طبيعة القسوة التي تحكم علاقة التنظيم بالمجتمعات المحلية، حيث أكد أبو عدنان، أحد مواطني الرقة، أن "المهاجرين من عناصر الدولة لا يمكنهم أن يفهموا طبيعة السوريين، وأغلب عناصرها الأنصار هم شبيحة سابقون، كانوا يؤيدون النظام الأسدي، بالإضافة إلى شباب صغار معبئين عقائدياً ومشحونين عاطفياً، لذلك لا يجدون صعوبة في ممارسة القتل بهذه الطريقة، وهم لا يفهون معنى الثورة أو الحرية، ولا يقدرون دماء شهدائنا التي روت الأرض لتحريرها من نظام الأسد".

وبرأي أحمد المقاتل السابق في الجيش الحر، يتحمل أهالي المناطق الخاضعة لنفوذ التنظيم أنفسهم، المسؤولية في ما آل إليه الموقف "لأننا لم نعتمد على أنفسنا، وسمحنا للغريب أن يشاركنا بحل قضيتنا، إلى أن اعتبر نفسه شريكا بالقضية، وحولها من قضية وطن لقضية أمة وإسلام، ويتحمل التنظيم كذلك المسؤولية، باستقباله لكل من ينتسب له دون البحث عن دوافعه، سواء من المهاجرين الذين كثير منهم مرتزقة، قدموا إلينا بحثاً عن مال وسلطة، أو الأنصار الذين كانت نسبة كبيرة منهم في الماضي لصوصا انضموا للتنظيم ليحموا أنفسهم، ومعظم المنتسبين هم جاهلون بالدين، ولا يعرفون من الدين إلا التكفير، ويسمون النبي محمد عليه الصلاة والسلام، الضحوك القتال" وأردف محدّثنا قائلا: "أصبحت منطقتنا أكبر مجمع للمشوهين فكرياً، وشذاذ الآفاق والمرضى النفسيين، هذا يحدث فعلا".

ويشدد المحامي عبد الله، والذي نشط في الفترة الأولى من الثورة في المجال الحقوقي، على أن "أسلمة الثورة هي من جلبت لنا هؤلاء الأشخاص، وقيادة تنظيم الدولة أعمت عيون عناصرها، وكانت تجذبهم بتشددها، واستخدمتهم للوصول لسلطتها. كان الدين واجهة لسلطة تحكم باسمه، والعناصر وقودها، وما يفعله العناصر لم يكن إلا ترجمة حرفية للأفكار المدسوسة بعناية في عقولهم، من قبل قيادتهم الباقية وقيد التمدد!".

وأوضح عيسى، المدرس في ثانويات المدينة، أن "دولة الضلال والظلم لا تدوم، فمن يبني دولته على جماجم المجاهدين، لن يدوم حكمه، ومن يقدم قتال المسلمين على قتال العدو الصائل لن يبني دولة الإسلام، وجود داعش بطريقتها هذه قد قسمت الإقليم السني، وجعلتنا نحارب بعضنا، والنظام هو آخر همنا"، وأضاف: "سيطرة داعش رغبة إقليمية ودولية، حتى وإن استطاعت الفصائل صدها عن مناطقها، فهي ستعاود الهجوم مرة أخرى".

وشرح عبدالباسط، أحد المعمرين في المدينة، أن ما تقوم به الدولة الإسلامية "له أصل في الدين"، لكن المشكلة في التطبيق. "ليس بالشكل هذا يطبَّق الدين، ومقاتلو تنظيم الدولة شرسون في القتال، ولكن لديهم بعض الغلو، وهذا الذي يقف حائلاً دون مبايعة الناس لهم في رأيي".

وبين أن التنظيم يقتل لأجل القتل، أو وجهة النظر الأخرى القائلة بأن التنظيم لا يفعل إلا تطبيق أحكام دينية تعطلت لأزمان طويلة، يبقى ثابتا أن مواجهة ثقافة عنفية بهذا الانفلات والرغبة في المزيد من العنف، لا يمكن أن تجابَه إلا بموقف نقدي واع وحاسم، هي إذن مواجهة مع الذات ومع الآخر، ومضيٌ إلى الأمام في مسيرة استرداد القرار والشرعية إلى الناس، وتركهم يسيّرون حياتهم وفقا لمصالحهم.

لهذه الأسباب سقطت مدينة دير الزور بيد "داعش"!

■ دمشق – أنليل فارس

داعش عند دخولها مدينة دير الزور

سقطت محافظة دير الزور بيد "تنظيم الدولة الإسلامية - داعش"، وخرجت منها فصائل المعارضة المسلحة المعتدلة والإسلامية، أو بايعتها، لتصبح داعش الطرف الأوحد المسيطر، بشكل متسارع، ما يطرح أسئلة كثيرة حول هذا السقوط.

"سوريتنا" التقت الضابط أبو وسام، أحد ضباط الجيش الحر من دير الزور، ونتكتم على اسمه الصريح لأسباب أمنية، وقال لها "عقب إخراج النظام من دير الزور، لم نكن ندرك أن المنطقة مفتوحة على كل الخيارات، وتفاجئنا أن الفوضى دبت في المنطقة، وأصبحت العشائرية والجماعات المتشددة تلعب دورا أكبر في المجتمع، وسرعان ما استقطبت التنظيمات المتشددة خيرة المقاتلين، الذين يملكون الفكر الإسلامي المتطرف".

وتابع "كما سيطروا على الموارد المادية في المحافظة وخاصة النفط، ما جعلهم يمتلكون تمويلا ذاتيا، فأصبح لديهم القدرة على العمل في مجال المساعدات الإنسانية ما أكسبهم قبولا شعبيا، إضافة إلى دفع رواتب عناصرهم".

ولفت إلى أنهم "في الجيش الحر لم يكن لهم في تلك الأثناء تحصين أمني أو حتى عسكري"، مضيفا "لم نكن منظمين بالمعنى الحقيقي للتنظيم، كان يغلب علينا طابع المجموعات المسلحة ذات الطابع العشائري، وكل ما يتم يحكى عنه من أركان ومجالس عسكرية هو كذبة كبيرة، وما الأموال التي تدفع إلا لشراء الولاءات".

وبين أن "المجتمع كان حاضنة للفكر الإسلامي غير المتطرف، لكن المشكلة اليوم أن الإسلام لايوجد فيه حالة وسطية فإما إسلام القتل أو إسلام الكفر"، مضيفا أن "هذه الحاضنة ذاتها كانت للجيش الحر، إلا أن السذاجة الدينية والجهل المستشري بين الناس جعلهم يتورطون مع تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام-داعش".

وذكر أن "داعش تمتاز بعملها المنظم والمؤسساتي، إضافة إلى قوتها الاستخباراتيه، ودعمها لمقاتليها المادي والعسكري".

وقال "منذ أكثر من عام بدأ تنظيم الدولة يقرصن الإمدادات الغذائية والعسكرية للجيش الحر، ولم تبد أي جهة على مختلف المستويات من الدول الداعمة وقيادة الأركان إلى الكتائب المعارضة أي اهتمام"، مضيفا "في حين تحول التسليح إلى حالة مرضية حيث قامت مجموعات باكتناز السلاح، ويطلقون على أنفسهم الجيش الحر، في حين همهم الأساسي جمع الأموال".

وأضاف في حين "داعش مبنية على العقيدة الدينية المتشددة، ويتعاملون مع المهاجرين الذين سبق لهم القتال في أماكن أخرى من العالم"، في حين "يعتبرون أن الكتائب التي أعلنت التوبة أو المبايعة لداعش يطلق عليها مسمى الأنصار، وهي ترتكب اليوم التجاوزات باسم الدولة، في حين من يرغب في الانتماء للدولة عليه أن يخضع إلى دورة شرعية وعسكرية في الرقة، إضافة إلى جملة من الشروط الدقيقة".

وأعاد التشدد المتفشي إلى "الجهل وعدم الثقافة، حتى أنهم لايملكون أدنى مستويات الثقافة الإسلامية أو تفسير القرآن على أبسط حد"، مضيفا "كما أن الجهل هو ما سبب المغالاة بالتشدد وهم يحفظون من القرآن الكريم آيات القصاص، دون أن يدركوا تفسيرها أو أسباب نزولها".

وذكر أن "الدولة الإسلامية اليوم تعمل على تنظيم المناطق التي تسيطر عليها إداريا واقتصاديا، بالاستعانة باختصاصيين ومنهم من يحمل شهادات عليا، كما يدعون اصطحاب الاختصاصات للالتحاق بالتنظيم، وهم دقيقين في عملهم ومحاسبتهم".

ورأى أن "التشدد عمره قصير في محافظة الدير، ولكن الخوف هو من يسكت الناس، وفي حال وجود قوة منظمة حقيقية فإن المجتمع ستتغير ولاءاته".

وعن الأحداث الأخيرة ضد تنظيم الدولة، قال إن "النظام ورط عشيرة الشعيطات بحربها ضد التنظيم، حيث رمى لهم منشورات تعدهم بالمساندة ضد التنظيم بالسلاح والدعم الجوي، لكنه لم يف بشيء من ذلك"، ورغم التوجه العام بين الناس أن تنظيم الدولة عميلة للنظام، إلا أن خوف المجموعات على نفسها، وخسارتها سلاحها الذي سحبه التنظيم يمنعها من القيام بأي عمل مناهض للتنظيم".

وأعتبر أن "ما حدث مع الشعيطات جعلها عبرة لكل من يفكر أن يقوم على التنظيم، أو يثق بالنظام، رغم أنهم رفعوا العلم الاحمر، وهتفوا لبشار الأسد".

نازحو حلب على أطراف الشوارع وبين الركام

■ حلب - عثمان إدلبي

مازالت الأحياء الخاضعة لسيطرة النظام في حلب تستقبل يومياً أعداداً كبيرة من النازحين الذي تركوا بيوتهم في الأحياء المحررة هاربين من جحيم الموت ومن أزيز الطائرات المرعب ومن فتك البراميل باحثين عن مأوى يحميهم ويحمي أطفالهم من الموت، حركة النزوح المستمرة باتجاه الأحياء الغربية من حلب أزمة سكانية كبيرة، فغالبية البيوت اليوم تسكنها عدة عائلات، فالنازحون الذين لديهم أقارب أو معارف سكنوا عندهم أما الذين لم يجدوا من يؤويهم بحثوا عن بيوت ليستأجروها ولكنهم صدموا بالارتفاع المخيف في أجارات البيوت بسبب الأزمة السكانية الخانقة التي تعاني منها أحياء حلب الغربية، كما ترتفع أجارات البيوت بشكل اكبر في فترة الدوام الجامعي كون البيوت المعروضة للإيجار هي المؤوى الوحيد للطلاب الجامعيين بعد أن سكن نازحون في المدينة الجامعية.

نازحون بلا مأوى

وجد البعض في أزمة السكن التي تعاني منها الأحياء الغربية في حلب فرصة لكسب المال فيستغلون حاجة الناس برفعهم لإيجارات البيوت التي يمتلكونها، فأسعار البيوت وإيجاراتها بدأت ترتفع منذ بدا حركة النزوح إلى مناطق النظام، فإيجارات البيوت تختلف من منطقة إلى أخرى، فالبيوت الأكثر أجرا هي الواقعة في أحياء وسط المدينة كالميريديان والمحافظة والفرقان فالبيت المفروش ذو الثلاث غرف لا يقل أجارة عن 50000 ليرة، بينما تتناقص إيجارات البيوت قليلا في الأحياء المتطرفة كحي حلب الجديدة والحمدانية والسليمانية، ويقول لنا مروان "أنا نزحت منذ اليوم الأول الذي دخل فيه الجيش الحر لحي الكلاسة واستأجرت بيتا في حي الميريديان بعشرة آلاف، ومع مرور الوقت وازدياد حركة النزوح أزداد طمع صاحب البيت فأصبح في كل فترة زيادة الإيجار، حتى وصل إلى خمسة وعشرين ألفا وهذا المبلغ هو أكثر من راتبي، ومنذ شهرين قال لي بأنه قد جاء إليه مستأجرون ويريدون أن يدفعوا له 45000 لكي يستأجروا البيت وطلب مني أن اخلي البيت أن لم يكن بقدرتي أن ادفع هذا المبلغ، فتركت البيت وعدت إلى بيتي في حي الكلاسة لانتظر براميل النظام التي سوف تقتلني أنا وأولادي ولكي اترك صاحب البيت يجني المال ويربح"

المدينة الجامعية والمدارس هم المأوى المجاني الوحيد للنازحين ولكن غرف السكن الجامعي وصفوف المدارس ممتلئة منذ أكثر من سنتين، فالنازحون يشتكون من انعدام الاهتمام من قبل الدولة وعدم سعيها لتقديم مؤوى لهم، وتقول أم زهير "نزحت مع أطفالي من حي الحيدرية ولجأت إلى مناطق النظام لكي ابحث عن مأوى فلم أجد أحدا يستقبلني وأصغر بيت أجاره 25000 وأنا لا لأمتلك نص هذا المبلغ والمدينة الجامعية لا تستقبل ألا أهالي الشبيحة والمتطوعين في صفوف النظام"

مرارة النزوح وصعوبة العيش في الملاجئ والمدارس والمخيمات دفعت الكثير النازحين إلى السكن في بيوت نصف مهدمة والعيش بين الركام، فالكثير من أحياء حلب التي أستطاع النظام أن يدخلها بعد أن دمرها بالقذائف والبراميل كحي الإذاعة وأجزاء من حي صلاح الدين وأجزاء من حي سيف الدولة والأشرفية، هذه الأحياء مليئة بالسكان رغم الدمار الذي عم

نازحون في شوارع مدينة حلب | تموز 2014

فيها، معظم المقيمون في هذه الأحياء يسكنون في بيوت ليست لهم ولا يعرفون من أصحابها كون الكثير من السكان الأصليين سافرو خارج سوريا أو لا يتجرؤون على العودة لأحيائهم، ويقول أبو سالم وهو نازح من حي الفردوس "نزحت مع عائلتي إلى مناطق النظام وبقيت شهرا كاملا مقيما عند معارفي النازحين أيضا في السكن الجامعي والمدارس حتى وجد لي ابن عمي بيتا في صلاح الدين لم يسكنه احد، وعندما أخذت عائلتي وذهبنا للبيت تفاجئنا أن هذا البيت كان عبارة عن غرفتين ضمن بناء مهدم بالكامل نتيجه القصف، فسكنا في هذه الغرفتين وتأقلمنا على الدمار الذي يحيط بنا فحالنا كحال الكثيرين من النازحين الذي يعشون بين الخراب".

خيم داخل المدينة

تسكن بعض العائلات النازحة في حلب في خيم صغيرة وعشوائية نصبوها في مناطق متطرفة في المدينة، فهناك الكثير من الخيم نصبت على أطراف المحلق وهناك نازحون نصبو خيم لهم في الحدائق الواقعة على إطراف المدينة والتي لم يعد يأتي إليها الناس، معظم هذه الخيم لا تحظى بالرعاية ولم تخدم من الدولة لا بالماء ولا بالكهرباء ولا بقنوات الصرف الصحي، بل كافح الدولة ظاهرة المخيمات في المدينة عن طريق مجلس المدينة (البلدية) الذي يحاول باستمرار إزالة هذه الخيم، ولكنهم دائما يواجهون بردة فعل قوية من قبل النازحين الذين يرفضون الخروج من خيماتهم التي تؤويهم وتأوي أسرهم، ويقول أبو محمود "أنا أول شخص نصبت خيمة في الحديقة التي تحيط بالمحلق وبعد أن استقريت وتأكدت أن لن يمنعنا أحد من نصب الخيم في هذا المكان أتيت بأخي وعائلته وبعد فترة أصبح الكثير من المشردين ينصبون خيما بقربنا، فتفتحت عيون البلدية علينا وأصبحوا في كل فترة يأتون إلينا لكي يزيلوا الخيم، فمن أستطاع منا تأمين واسطة من الشبيحة غضت البلدية عنه نظرها ومن ليس لديه واسطة أزيلت خيمته أو أعطيت لغيره".

لم تعد البيوت هي المكان الوحيد الذي يأوي النازحين في حلب، فبسبب الكثافة السكنية التي أنتجت أزمة في السكن جعل بعض المحامين والمهندسين والأطباء الذين توقفت إعمالهم من مكاتبهم وعياداتهم بيوتا للسكن فالبعض منهم يسعى لكسب المال وأخذ الإيجار من النازحين والبعض الآخر فضل أن يساعد هؤلاء النازحين ويؤويهم بعد توقف عمله، وحتى بعض المحلات التجارية المتطرفة أصبحت مسكونة من قبل بعض العائلات النازحة، ويقول لنا الطبيب فؤاد "في الفترة الأخيرة خف عملي بشكل كبير وقل عدد المرضى الذين يزورونني فأغلقت العيادة وأصبحت أبحث عن فرصة عمل خارج سوريا، وبعد فترة اخبرني حارس البناء الذي تقع ضمنه عيادتي بان مجموعة من الشبيحة تحاول الاستيلاء على العيادة لكي يسكنوا فيها، فقررت أن أعطي العيادة لإحدى العائلات النازحة لكي يسكنوها ولكي يحافظوا عليها من سطو الشبيحة".

مكاتب الدوائر الحكومية سكن للموظفين وعائلاتهم

نتيجة لأزمة السكن وارتفاع أجارات البيوت لجأ الموظفين من أبناء المناطق المحررة إلى السكن ضمن دوائرهم الحكومية التي يعملون فيها، فالكثير من الدوائر والمؤسسات الحكومية أصبحت مكاتبها ومستودعاتها سكننا للموظفين، ويقول الموظف رياض وهو من أبناء مدينة حريتان "حاولت أن أستأجر منزلا مع بعض الشبان ولكن لم أتمكن بسبب ارتفاع الإيجارات فكان علي أن ادفع نصف راتبي كأجار شهري للمنزل، فقررت أن أبات في الدائرة التي أعمل بها كون مديرنا سمح للموظفين أن يناموا في مكاتبهم، وأصبحت في نهاية كل شهر أسافر يومين إلى حريتان لكي أرى اهلي ثم أعود إلى وظيفتي"، كما قام البعض من الموظفين الذين نزحوا من بيوتهم بجلب عائلاتهم وأسكنوها معهم في إحدى الغرف أو المكاتب في المؤسسة الحكومية التي يعملون بها، فعندما تدخل اليوم إلى إحدى الدوائر الحكومية ترى أطفال يلعبون في ممرات هذه الدوائر وغسيلا منشورا على شرفات المكاتب ولافتات وضعة على بعض الأبواب كتب عليها (مغلق ..هنا عائلة).

يشتكي الكثير من النازحين من انعدام الاهتمام من قبل الدولة والجمعيات الخيرية بأحوالهم، فالمساعدات التي تقدمها الدولة والجمعيات تنحصر في المعونات الغذائية وبعض المنظفات، هناك مطالبات من قبل النازحين بأن

على الدولة أن تتكفل بسكن النازحين وأن تؤمن المؤوى لهم ولعائلاتهم، ولحد اليوم لم تأخذ الدولة أية إجراءات بحق النازحين والمنكوبين من أبناء المناطق المحررة بل كانت كل إجراءاتها تضر بالنازح كالمحاولات اليومية التي تقوم بها الدولة لإخراج النازحين من السكن الجامعي والمدارس كما تقوم البلدية بإزالة الخيم التي تأوي الكثير من العائلات النازحة، كما يقوم الناظم في حلب مكافحة البسطات التي معظمها للنازحين الذي يؤمنون لقمة العيش لأطفالهم من خلال هذه البسطات، ويقول النازح محمد "أنا أشعر أن الناظم ينتقم منا لمجرد أننا من المناطق المحررة، فانا سكنت بداية في السكن الجامعي وأخرجوني منه لأنني لست متطوعا ضمن كتائب النظام، وعندما نصبت خيمة في إحدى الحدائق لكي أتاوى فيها مع أسرتي أتت البلدية وأزالتها، ناهيك عن المعانات والذل التي نتعرض له عندما نريد أخذ المعونات من الجمعيات التي هي تحت كنف النظام".

المكاتب العقارية أكبر المستفيدين

أصبحت أزمة السكن في حلب تجارة لبعض الناس الذين يستغلون مصائب النازحين الذين هدمت بيوتهم وهجروا منها بسبب القصف وهربا من الموت، كما يعتبر أصحاب المكاتب العقارية من أكثر المستفيدين من هذه الأزمة، فتكمن أرباح المكاتب العقارية فالمبلغ الذين يأخذونه من المستأجر فمن المتعارف عليه أن يأخذ صاحب المكتب العقاري أجار شهر كامل كونه كان الوسيط بين المستأجر وصاحب المنزل، كما أن أصحاب المكاتب العقارية هم المسئولون عن الارتفاع الكبير في أجارات البيوت في حلب، يواجه النازحون في حلب صعوبة في إيجاد بيوت للأحجار ويتهمون أصحاب المكاتب العقارية في منعهم من إستأجار البيوت، ويقول أبو هيثم "منذ أسهر وأنا أبحث عن منزل للإيجار فكلما ادخل إلى مكتب عقاري يسألني صاحب المكتب "نازحين ولا طلاب" وعندما أجيبه أننا نازحون يقول لي لا يوجد عندي بيوت للإيجار، وفي أحدى المرات صارحني احد أصحاب المكاتب وقال لي أننا نفضل أن نأجر الطلاب الجامعيين لأنهم يدفعون أكثر من النازحين وفترة أقامتهم تقتصر على عام دراسي واحد فمجرد خروجهم أنا أستطيع أن أأجر البيت من جديد وأحصل على عمولة جديدة".

اللاجئون السوريون في بلغاريا "كالمستجير من الرمضاء بالنار"

■ تركيا - مها الخضور

سجل اللاجئون السوريون عام 2013 أعلى نسبة بين الناجين على شواطئ البحر الأبيض المتوسط هرباً من الموت المحتم في رحلات حملت لهم بعضاً من الأمل في استئناف ما تبقى لهم من حياة.

ومنذ اندلاع أحداث العنف في سوريا عام 2011 تم تسجيل 123600 لاجئ سوري في أوروبا منهم 104960 في دول الاتحاد الأوروبي حتى تاريخ 22 حزيران 2014 ومن الضروري لفت النظر إلى أن خمسة دول فقط من بين دول الاتحاد الأوروبي هي التي استقبلت غالبية اللاجئين السوريين بينما لم تسجل باقي دول الاتحاد جميعها أكثر من 200 طلب لجوء لسوريين استطاعوا الوصول إليها. بالإضافة إلى ذلك شهدت بعض دول الاتحاد الأوروبي عبور أعداد ضخمة من السوريين باتجاه الدول التي تستطيع تأمين احتياجاتهم.

ولعل ما تشهده الحدود البرية مع الاتحاد الأوروبي من سوء معاملة وامتهان لكرامة السوريين ليس أرحم من الموت في عرض البحر. فقد شهدت الحدود التركية-البلغارية تدفق الآلاف من السوريين والفلسطينيين الذين قرروا النزوح بشكل جماعي نحو أوروبا، مما تسبب بتشتت بعض الأسر وفقدان بعض أفرادها في كثير من الأحيان. فهؤلاء يسافرون ضمن مجموعات تضم عائلات بأكملها ولكن الطرق الوعرة التي يسلكها مهربو البشر عبر غابة كثيفة في جبال ستراندجا تدفعهم لأن يسلكوا طرقا مختلفة ومهلكة أحياناً فيتيهون عن بعضهم كما ان خوفهم من الشرطة البلغارية، التي وردت الكثير من التقارير الدولية عن سوء معاملتها لهؤلاء اللاجئين، يمكن أن يدفع بهم نحو طرق لا نجاة منها أحيانا.

ففي بعض التقارير ورد أن الشرطة البلغارية جردت اللاجئين السوريين والفلسطينيين من وثائقهم التي بحوزتهم ومن أموالهم وحتى هواتفهم الخلوية وتركتهم في العراء طالبة منهم الركض نحو الحدود مع تركيا وتحت تهديد إطلاق النار. وفي شهر تشرين الثاني 2013 بعد ازدياد تدفق اللاجئين السوريين إلى بلغاريا بشكل ملحوظ أقرت الحكومة البلغارية قوانين جديدة بخصوص اللاجئين الذين يصلون إلى أراضيها، وعلى ضوء تلك القوانين اعتقلت 11606 شخصا بتهمة العبور غير الشرعي عام 2013 وقد سجل وصول عدد المعتقلين السوريين من بين هؤلاء إلى 6600 شخص.

وذكر التقرير فرز 1500 شرطي إضافي لمنطقة إيلهوفو البلغارية القريبة من الحدود التركية لبسط السيطرة ومنع تسلل الهاربين إلى بلغاريا. بالإضافة إلى بناء الجدار الحديدي العازل بطول 30 كيلومتر على تلك الحدود وقد نجحت تلك الإجراءات في تخفيض عدد اللاجئين فبينما سجل وصول 3600 شخص عبر تلك الحدود خلال شهر تشرين الثاني وحده عام 2013 لم تسجل سوى 1514 حالة عبور بينهم 65٪ سوريون اعتباراً من شهر كانون الثاني 2014 حتى تاريخ صدور التقرير في 22 حزيران 2014.

لا شك أن بلغاريا ليست سوى دولة صغيرة لا يزيد عدد سكانها عن 7،5 مليون نسمة وهي واحدة من أفقر دول الاتحاد الأوروبي وليست لديها الطاقة الكافية لتحمل نفقات اللاجئين السوريين الذين وصلوا إليها بسبب صعوبة طرق الهروب عبر اليونان التي سبقتها ببناء السياج الحديدي على حدودها مع تركيا بطول 10،5 كيلومترا. لكن كل ما تقدم لا يبرر المعاملة اللاإنسانية التي يلقاها اللاجئون السوريون في بلغاريا. حيث يتم احتجاز المهاجرين وطالبي اللجوء الوافدين حديثا ممن لم يتقدموا بطلبات لجوء رسمية في منشأة مغلقة ويعاملون معاملة المجرمين المشتبه فيهم لأنهم عبروا الحدود بصورة غير قانونية مما دفع بالمفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين بوصف هذه العملية بأنها «صدمة إضافية لضحايا العنف».

وبعد تسجيل اللجوء الذي قد يستغرق عاماً كاملاً يتم نقلهم إلى مراكز استقبال مصممة على غرار المهاجع في ثكنات الجيش ويحق لهم التنقل ضمن تلك المراكز فقط إلى أن تبت الحكومة في طلبات لجوئهم. وبمجرد تخيل تجهيزات تلك المراكز التي لا تصلح لإقامة البشر فيها نستطيع تقدير حجم المعاناة التي يعيشها اللاجئون الذين استطاعوا الوصول إلى بلغاريا. فالمباني قديمة جدا تفوح منها روائح العفن وسوء الخدمات كالنظافة والسباكة وانقطاع المياه والكهرباء الدائمين. بالإضافة إلى عدد الأسرة القليل جداً والذي لا يتناسب أبداً مع عدد المهاجرين مما يجعلهم يفترشون أروقة تلك المراكز للنوم ليلاً بالإضافة إلى قلة الطعام والمال (45دولار شهرياً لطالب اللجوء) وقلة كل شيء سوى سوء المعاملة.

يتساءل السوريون عن أسباب سوء المعاملة في بلغاريا ويعزو بعضهم ذلك لأسباب سياسية بحتة، حيث يشكل الحزب القومي «أتاكا» وحزب المعارضة الذي يتزعمه رئيس الوزراء السابق «بويكو بوريسوف» جبهة تواصل الضغط على الحكومة البلغارية لمنع دخول السوريين عبر حدودها وترحيل من استطاعوا الوصول وليس خافيا علاقة هؤلاء بنظام الأسد في سوريا حتى أن بعض أعضاء هذين الحزبين لا يترددون في ممارسات تشبيحية ضد اللاجئين السوريين من شتم وضرب فقط لأنهم ثاروا ضد بشار الأسد.

بعد عودتها من بلغاريا إلى تركيا استقر المقام بآمنة. ع في مدينة كيليس التركية رأيتها ومازالت علامات الأغصان على وجهها كأنها وسما لإحدى قبائل إفريقيا وحين سألتها عن رحلتها الحزينة قالت: « كنا أربع عائلات بأكملها اتفقنا مع المهرب على دفع مبلغ 1800 يورو عن كل فرد فينا بعد وصولنا إلى مدينة صوفيا البلغارية، وبدأت الرحلة بركوب باص من مدينة إسطنبول التركية صوب منطقة ادرنا ومن هناك بدأت رحلة العذاب في غابات كثيفة جداً، كنا نمشي طوال الليل ونختبئ في النهار وحين نتعب كثيراً نرتاح فوق الأشجار وكأننا خفافيش.

تعبنا وتعب الأطفال والمسنين وعندما اقتربنا كثيراً من النهاية فضحنا بكاء طفل جائع فأضاء رجال الشرطة البلغارية مصابيحهم واعتقلونا. في مركز التحقيق ضربوا زوجي وأهانوني كما أجبروني على خلع حجابي دون سبب. وبعد عدة أيام بدون طعام أو أي مساعدة ترجى سلبوا منا كل ما نملك من أموال وهواتف ومصاغ وحملونا في عربات صوب الحدود وهناك رموا بنا كمن يرمي بالقاذورات...إلى أن وجدتنا الشرطية التركية وحينها فقط عاد لي الأمل بأن تبقى أسرتي على قيد الحياة».

لاجئون بيد البوليس البلغاري على الحدود مع تركيا

عام على قصف غوطة دمشق بالأسلحة الكيميائية
جريمة العصر مستمرة والقاتل مازال حراً

عام مر على جريمة العصر، التي ارتكبها النظام السوري بقصف غوطة دمشق بالأسلحة الكيميائية في 21 آب من العام الماضي، والتي ذهب ضحيتها أكثر من 1500 شخص وعشرات آلاف المصابين، أغلبهم من الأطفال والنساء، نتيجة استنشاقهم لغاز السارين.

ولأن الجريمة مرت دون عقاب، كغيرها من المجازر التي يرتكبها يوميا بالبراميل المتفجرة، استمر النظام في استخدام الغازات السامة على ريف حلب، وحمص، وحماه، وإدلب، ودرعا، وريف دمشق، وليس آخرها المجزرة التي ارتكبها في جوبر في ذكرى مجزرة الغوطة، والتي ذهب ضحيتها خمسة شهداء وعشرات المصابين، وبعدها ضرب عربين بالغازات السامة، ما أدى إلى استشهاد ثلاثة أشخاص وجرح العشرات، وعشية الإعلان عن تدمير الترسانة الكيميائية السورية، وفي تحد صارخ لقرارات الأمم المتحدة، وللقانون الدولي.

(بشار قتلنا بالكيماوي، والعالم قتلنا بصمته)، لافتة "تختزل القضية" رفعها الناشطون في الحملة الإعلامية التي أطلقوها يوم السبت تحت اسم "استنشاق الموت"، لتذكير العالم بمجزرة الكيماوي، في عدد من الدول العربية والأجنبية، حيث نظموا اعتصامات، ووقفات رفعوا فيها صور وأسماء شهداء المجزرة، ونشروا بكثافة صور الأطفال وضحايا الإجرام، على مواقع التواصل الاجتماعي، مؤكدين أنهم لن ينسوا ما حدث، وأنهم يريدون التذكير بأبشع الجرائم ضد الإنسانية في هذا العصر، والتي بقيت دون حساب، مع إقرار المجتمع الدولي ولجان التحقيق الدولية، ومجلس الأمن، بمسؤولية النظام عن الجريمة، إلا أن أجهزة الأمن الأردنية ألغت الفعالية التي نظمها الناشطون لرفع لوحة تحتوي على 50 ألف صورة شهيد، أمام السفارة السورية، في ذكرى ارتكاب مجزرة الغوطة، رغم حصولهم على ترخيص مسبق، ما أثار استياءهم بعد المجهود الذي بذلوه، لعدم علمهم بالأسباب الحقيقية وراء هذا القرار الظالم والمفاجئ، حسب قولهم.

يوم الموت بلا دماء، كان اليوم الذي استفاق فيه أهالي الغوطة على هجوم بالصواريخ المحملة بمواد سامة، في ساعة ضمنت إصابة أو مقتل أكبر عدد ممكن من الأشخاص، ولجأ النظام إلى هذا الأسلوب في محاولة لاقتحام مناطق الغوطة، التي عجزت قواته عن اقتحامها، لأن القصف بالكيماوي تزامن مع قصف شديد بمدافع الهاون والسلاح الثقيل، كما عمد إثر ارتكاب المجزرة إلى قصف المناطق ذاتها بالطيران، في الغوطة الشرقية والمعضمية وجوبر.

الدكتورة خولة حسن الحديد، وثقت في تقرير شامل بعنوان "مجزرة الكيماوي وقيامة الغوطتين" أحداث المجزرة بالتفصيل، مستندة على تقارير المنظمات والمراكز الحقوقية، والصحف والوسائل الإعلامية العربية والعالمية، وشهادات الناشطين والمكتب الطبي في الغوطتين، وشهادات السياسيين والحقوقيين، ومن شهادات حية بثت في فيديوهات، جاء فيه: في الثانية والنصف بعد منتصف الليل وفجر 21 آب2013، استهدف عدد من الصواريخ المحملة بمواد سامة، مناطق في الغوطة الشرقية، هي زملكا وعين ترما وعربين، وكذلك المعضمية في الغوطة الغربية، وتحدث الناشطون والعسكريون عن (29) صاروخاً محملاً بالمواد السامة، وذلك بعد أيام قليلة من وصول فريق مفشي الأمم المتحدة المُكلّف بالكشف عن استعمال المواد الكيماوية في مدينة دمشق، وتسببت الحملة في موت مئات السكان في منازلهم، إثر تعرّضهم للإصابة بغازات سامّة.

مقبرة شهداء الكيماوي في حمورية بالغوطة الشرقية | عدسة سوريتنا

وحسب رواية الناشطين والأهالي وعدد من العسكريين، فإن قوات من اللواء 155 التابع لجيش النظام السوري، والمتمركزة في منطقة القلمون، قامت وابتداء من الساعة 2:31 فجراً بالتوقيت المحلي بإطلاق 16 صاروخاً، وكانت هذه الصواريخ تستهدف مناطق الغوطة الشرقية، وبعد ساعة من ذلك سقطت صواريخ أخرى على الجهة الشرقية من مدينة زملكا بدمشق، وفي 2:40 فجراً استهدف القصف بلدة عين ترما بصواريخ أصابت منطقة الزينية، وبعد دقيقتين، تم إطلاق 18 صاروخاً استهدفت مناطق الغوطة الشرقية بدمشق، فسقط صاروخ بين زملكا وعربين، واستمر إطلاق الصواريخ حتى الساعة 5:21 فجراً، بسقوط صاروخين، استهدفا مدينة المعضمية في الغوطة الغربية، وقد بدأ وصول الحالات إلى المستشفيات من الساعة 6:00 صباحاً.

وأفاد الشهود أن مدينة المعضمية تعرضت لقصف بخمسة صواريخ كيميائية على الأحياء السكنية، في الساعة الخامسة والربع صباحا، وأدت إلى سقوط 50 شهيدا على الأقل و300 مصاب باختناقات، وحالاتهم خطيرة غالبهم من النساء والأطفال، وقد تم إغلاق أنستراد دمشق القنيطرة (الأربعين) ذهابا وإيابا، وشوهد رتل عسكري قادم من الحرس الجمهوري مكون من عشر سيارات دوشكا ومدرعات، والعديد من الدبابات ومئات الجنود، ومئات القذائف والصواريخ التي انهالت على المدينة من الفرقة الرابعة ومطار المزة العسكري، بمعدل 40 قذيفة في الدقيقة، بينما كانت طائرات الميغ تقصف المدينة بستة غارات بصواريخ فراغية، وكانت الاشتباكات تدور على جميع محاور المدينة، وخاصة الجبهة الشمالية طريق الأربعين، والجبهة الغربية الشياح، ولم يستطيع المشفى الميداني استقبال كل جرحى القصف، فأكثر من 500 مصاب جاء دفعة واحدة، مع نفاد المواد الطبية ونقص الكوادر، إضافة إلى مصابين بالقصف والكيماوي لم يكن قد جرى إسعافهم بعد، بسبب شدة القصف وعدم قدرة أي شخص على السير في الشوارع، وبحسب التقارير فقد نجت مدينة داريا المجاورة للمعضمية، المحاصرة منذ أكثر من عام، من القصف بالكيماوي وتأثيره، نتيجة اتجاه الهواء يومها، ومن الإحصائيات التي وردت في حينه من المعضمية، تبين إصابة أكثر من 800 شخص من الأهالي بالغازات السامة، استشهد منهم 109 أشخاص، وكان العدد مرشحا للارتفاع، بعد مرور عدة أيام على ارتكاب المجزرة، وهذا ما كان فعلا.

وعمد النظام إثر ارتكاب المجزرة، إلى قصف المناطق ذاتها بالطيران في الغوطة الشرقية والمعضمية وجوبر، وقطع الطرق المؤدية إلى المناطق المستهدفة بالكيماوي، ومنع الدخول والخروج منها، والزج بحشود عسكرية تقوم بمحاولات اقتحام لهذه المناطق، ولم تتوجه أي سيارة إسعاف من المشافي الحكومية إلى أي من المناطق المستهدفة، رغم حجم الإصابات، ولم يسمح بإدخال أية أدوية أو مساعدات طبية، مما فاقم المأساة وزاد من عدد الضحايا.

وما إن بدأت تتكشف بعض من ملامح المجزرة، حتى ظهرت للعيان كارثة إنسانية رهيبة ألمت بالمناطق التي تعرضت للقصف، وكانت الكارثة الأكبر في مدينة زملكا بحسب الناشطين، بسبب العدد الضخم الذي أصيب بحالات الإغماء والاختناق، ومع كثرة عدد الأطفال الذين سقطوا ضحية ذلك الغاز، وجميعهم من المدنيين، وكانت الجثث مرمية في الشوارع، والناس عاجزين عن سحبها بسبب ضغط الحاجة الكبير، وتزامن ذلك مع القصف المدفعي والجوي، وسادت حالة من الهلع والارتباك بين الأهالي بعد القصف الذي استهدف مناطقهم في كل من زملكا وعين ترما.

شهادات الناشطين والأطباء والأهالي:

الناشط مراد أبو بلال، المسؤول الإعلامي في تنسيقة مدينة زملكا، وكان أحد الناجين القلائل، قال في شهادته المنشورة بأحد مراكز التوثيق: "في الساعة الثانية إلا ربع صباحاً بتاريخ 21 آب يوم الأربعاء، كنّا نقوم بإسعاف المصابين، وتم إسعاف حوالي 600 شخص إلى النقطة الطبية في زملكا، في النصف ساعة الأولى التي تلت القصف، ثم نزل صاروخ آخر في نفس المبنى، أدى إلى استشهاد العديد من المصابين ومعهم الطاقم الطبي بكامله، وحين كنا نساعد السكان المصابين بالصعود إلى أعلى بناء النقطة الطبية لاستنشاق الهواء النظيف، سقط الصاروخ الثاني على المبنى نفسه وحصد عشرات الأرواح، وبلغ عدد الشهداء 400 في هذه النقطة وحدها، كما استشهد في اليوم الأول للمجزرة، العديد من النشطاء الإعلاميين العاملين في تنسيقية زملكا، وفي اليوم التالي للمجزرة تعرض مكتب التنسيقية نفسه للقصف بالطيران الحربي، بغارتين جويتين، إضافة إلى القصف بمدافع الفوزديكا، مما أحدث دماراً كاملاً في المكتب

الإعلامي، أمّا بالنسبة للطاقم الإعلامي في تنسيقية زملكا فقد استشهدوا جميعاً، ولم يبق منهم غيري.

الناشط الإعلامي محمد الطيب، من الغوطة الشرقية في ريف دمشق، يقول بدوره إنه شاهد للمرة الأولى في حياته، عشرات الأطفال والنساء، الذين كان بعضهم قد توفي، في حين كان آخرون ينازعون في لحظاتهم الأخيرة، بانتظار الموت الذي واجههم بعد أن تنشقوا الغازات السامة، وأشار إلى مشاهد الفيديو التي كان قد صورها خلال تلك الليلة وفي الأيام التالية، عندما كان في صحبة اللجنة الدولية، للكشف عن السلاح الكيميائي، والتي رافقها خلال جولاتها. ماهر أيضا، الناشط الإعلامي الجوبراني، توجه عند سماعه عن المجزرة إلى عين ترما لتغطية الحدث. "بدأت الأعراض بالظهور علي وأنا في طريقي إلى هناك، من ضيق بالتنفس وغباشة في الرؤية، وعند وصولي وجدت العديد من المصابين على قارعة الطريق، وفي المشفى الميداني، وجدت 1000 مصاب تقريباً. قام الأطباء بإعطائي حقنة (أتروبين) وبدأت بالتحسن بعدها. لاحظت أيضاً أنّ العديد من الأطباء والمسعفين أصيبوا بالكيماوي نتيجة عدم توافر المعدات اللازمة".

الناشط الإعلامي محمد العبدالله، من مدينة سقبا قال في شهادته: "كنّا نقوم بدفن الشهداء بشكل جماعي، مع الاحتفاظ بصور الضحايا، ومقاطع الفيديو لمن تسنى لنا تصويره، وذلك بسبب العدد الهائل للضحايا. بلغ عدد مجهولي الهوية 60 بالمئة، وفي مشفى الإحسان في مدينة حمورية رأيت بعد عدة ساعات من القصف 142 جثة نسبة الأطفال فيها تفوق نسبة النساء والرجال، وأكثر من 300 مصاب في طابق واحد من المشفى".

وبينما كان المسعفون والنقاط الطبية يقومون بعملية إسعاف المصابين والجرحى، كان النظام يقصف مناطق زملكا وعين ترما وجوبر بشكل مستمر وكثيف ووحشي جداً، وسقط سبعة شهداء في مدينة عربين نتيجة قصف قوات النظام، يتابع محمد قائلا: "نحن في مكتب التنسيقة نتعامل يومياً مع 20 حالة لمواطنين فقدوا أهلهم أو أقاربهم أو أولادهم وضاع مكان دفنهم ومنهم من اختفت أخباره بشكل كامل".

واستشهد وأصيب عدد كبير من الكادر الطبي، إما بالقصف بالكيماوي أو بالقصف بالصواريخ والهاون والقصف الجوي بطيران الميغ، وبعض المسعفين استشهدوا رغم أنّهم كانوا قد وضعوا الكمامات الواقية، إلاّ أن "الكمامات" وصلت إلى درجة الإشباع بالغازات الكيماوية والسامة مما أدى إلى وفاتهم.

الطبيب ماجد أبو علي أحد أعضاء المكتب الطبي الموحد في الغوطة الشرقية قال: "النقص الحاد في التجهيزات والمعدات الطبية، والنقص الحاد في الكادر الطبي المتخصص، إضافة إلى الحصار الخانق منذ عدة شهور، كانت من الأسباب المباشرة في عشرات حالات الوفاة في ذلك اليوم، خاصة أنّ حجم الهجوم وقوته كان مفاجئاً وتجاوز كل التوقعات، فكنا نشاهد خلال الساعات التي تلت القصف توافد الآلاف من الحالات وخاصة من مدينتي زملكا وعين ترما، على النقاط الطبية الأخرى المنتشرة في الغوطة الشرقية، وقد قال لي أحد النشطاء، إنه وبسبب عدم توافر الكادر الطبي، جرى في إحدى النقاط فرز عدة حالات لمصابين مع الشهداء، إلاّ أنهم لاحظوا بعد عدة ساعات تحرك الجثة وعودة الشهيد للحياة، كان هنالك 22 شهيداً سقطوا معا، وكان يمكن إنقاذ حياتهم، في حال توفرت الأسرّة والتجهيزات. كان عدد الذين يحتاجون إلى العناية المشددة 98 مصاباً، وكان عدد من استطعنا إدخاله إلى غرفة العناية فقط 36، وعند الانتهاء اكتشفنا وفاة 22 شخصاً كان يمكن إنقاذهم، علماً أنّ التجهيزات الطبية كانت موجودة. كنّا قد طلبناها من إحدى الجهات المانحة بتاريخ 22-6-2013 إلاّ أنّها وصلت في الساعة العاشرة مساءً من يوم المجزرة، أي بعد وفاة مئات المصابين.

ويضيف ماجد أبو علي: "عندما كنّا نعالج المصابين في النقطة الطبية بدوما، وصلتنا عائلة كاملة مؤلفة من خمسة أشخاص، أب وأم وابنة وولدان، حسبما أكد المسعفون، لاحقاً عثرنا على الطفلة وأحد الأخوين، أمّا الأب والأم والابن الآخر فلم نعرف عنهم شيئاً، فقد فقدناهم بشكل كامل، وذلك نتيجة الفوضى الكبيرة التي رافقت الساعات الأولى من جلب المصابين من مناطق زملكا وعين ترما، وكنا أثناء العلاج والإسعاف ننتقي الأطفال وكانت لهم الأولية، فعند بدء قدوم الإصابات قمنا بإخلاء قسم العناية المشددة من الجرحى باستثناء ثلاث حالات خطرة جداً، وكان عدد الأسرة الموجودة 26 سريراً وعدد الذين تمّ ادخالهم 36 مصاباً، أي بزيادة 10 مصابين تمّ افتراش الأرض لهم في غرفة العناية، وكان كل ذلك يتمّ بحسب درجة خطورة الحالة، مما أدى إلى ضياع العديد من الأطفال عن آبائهم، حيث لم يكن بالإمكان أبداً التمييز بين المصابين إلاّ بحسب درجة خطورة الحالة، وقد استقبلنا فقط في نقطة دوما الطبية 425 حالة توفي منهم 65.

أحد المسعفين في نقطة الخولاني الطبية في حمورية قال: "أثناء قيام فريقنا بالإسعاف من المنازل، كان المسعفون يضطرون لترك الشهداء في بيوتهم ويحضرون فقط الأحياء المصابين، لكثرة الحالات وللتمكن من إنقاذ الناس. جميع ما صادفناه من حيوانات أثناء عمليات الإسعاف كان ميتا في الطرقات"، وأفاد مُسعف آخر من نقطة عربين الطبية، بأن العديد من المنازل يوجد فيها شهداء لم يتم نقلهم.

في حمورية أصيب ثمانية من أفراد الطاقم الطبي والإسعافي، وفي نقطة الخولاني الطبية قال أحد الإداريين: "كان الطاقم الإسعافي يصاب بالوهن ويفقد القدرة على الاستمرار بعد جولتين من الإسعاف، بسبب عدم وجود أقنعة، اضطررنا إلى استعمال كمامات عادية مصنوعة من القطن مضافا لها الخل الذي أعطانا إياه الأهالي، في محاولة لتفادي الإصابة قدر الإمكان".

وأشار كل العاملين في النقاط الطبية بالغوطة، إلى أن الأعراض التي ظهرت على المصابين تتلخص بالإقياء، سيلان اللعاب بشكل رغوي، الهياج الشديد، الحدقات الدبوسية، احمرار العينين، الزلة تنفسية، اختلاجات الأعصاب، توقف التنفس والقلب، خروج دماء من الأنف والفم، وفي بعض الحالات الهلوسة وفقدان الذاكرة الجزئي.

وأكد أحد الأطباء في نقطة طبية بعربين أن الأعراض التي رآها، هي لغاز يؤثر على الجهاز العصبي، وأهمها (الرمح العصبي النخاعي المنشأ، والرقرقة، والزلة التنفسية، وتوقف التنفس والقلب)، وكان الفارق الزمني بين القصف وبدء الأعراض نحو نصف دقيقة فقط، لذلك في العديد من الحالات لم يتمكن المصابون من التحرك أو الهرب، وماتوا في مكانهم.

يوم القيامة. كان ذلك هو الوصف الذي استخدمه العديد من الشهود والأهالي لهول ما رأوه وعاشوه، حيث استفاقوا على الصراخ "ضربوا كيمياوي"، وانتشروا على غير هدى وهم يتساقطون من الغاز أو القذائف.

وفي شهادة للناشطة الحقوقية رزان زيتونة، المخطوفة مع فريق عملها في دوما، نُشرت في عدد من وسائل الإعلام جاء: "إلى جانب إحدى النقاط الطبية وقف شخص وهو يبكي ويلوح بيديه. قال إنه أسعف ثلاث سيدات إلى المشفى، في الطريق وبسبب الاستعجال والارتباك دهس شخصا فقتله، وعندما وصل إلى المشفى ركن شاحنته الصغيرة أمامها بانتظار أن يبت بأمره بخصوص الشخص الذي دهس، وبعد دقائق أغارت طائرة الميغ واختارت النقطة التي تقف فيها الشاحنة فأحالتها ركاما. من يمكن أن تحصل معه أحداث مماثلة خلال ساعات قليلة من حياته، ويبقى على إيمانه بأن الدنيا ليست على أبواب القيامة؟".

وجاء في شهادة أخرى لأحد العسكريين العاملين في المنطقة: "أرجح أن يكون مصدر الصواريخ قصيرة المدى التي قصفت بعض مناطق الغوطة هي "القابون" وتحديداً من أماكن تمركز الوحدات الخاصة الواقعة بين جوبر والقابون وبرزة، وهي منطقة يتم منها إطلاق صواريخ أرض أرض، وراجمات وهاون، ويوم الضربة الكيميائية كنت في مكان عال في الغوطة الشرقية، هناك أمر تكتمت عن تفاصيله حتى أتمكن من التحقق من مكان الصواريخ التي شاهدتها وصورتها"، وأضاف: "الصواريخ التي أطلقت لا تشبه صواريخ الجيش الحر محلية الصنع، نحن نعلم صواريخنا ولون النار التي تخرج من خلفها، هذه الصواريخ لها لون يشبه لون احتراق المغنيزيوم، أنا أعرف هذا اللون".

شهادة مهمة أخرى، لقيت هي بالتحديد صدى دوليا. الناجي من المجزرة والناشط من منطقة المعضمية قصي زكريا، أدلى بالعديد من الشهادات في الولايات المتحدة الأميركية بهدف إطلاع الرأي العام على مجازر نظام الأسد في المعضمية، أثارت روايته غضب سفير النظام في الأمم المتحدة بشار الجعفري، حين فوجئ بوجوده للإدلاء بشهادته في جلسة لمجلس الأمن بعد المجزرة.

ويتضمن تقرير شهادات حول جمع الجثث ودفنها في مقابر جماعية، ورحلة الأهالي للبحث عن المفقودين، حيث تعذّر على الكثير من الأهالي إيجاد أبنائهم وذويهم بالسرعة المطلوبة، بسبب

غرافيتي في ذكرى المجزرة

نقل الشهداء والمصابين إلى مختلف النقاط الطبية في بلدات ومدن الغوطة، خاصة أن معظم الشهداء قتلوا وهم نيام وجرى إخراجهم بثياب نومهم من غير أوراق، ومع الحر الشديد لشهر آب وعدم وجود كهرباء وثلاجات لحفظ الجثامين، كان هناك اضطرار في العديد من الحالات لدفن الشهداء المجهولين قبل تعرف ذويهم عليهم ووداعهم، والأمر الأكثر فظاعة هو انتشار إشاعات بين بعض الأهالي تقول إنه ربما تم دفن بعض الضحايا أحياء وهم في حالة غيبوبة، ما أثار الذعر.

من جانبه، قال مدير عمليات منظمة (أطباء بلا حدود)، بارت جانسنز: "قدّم لنا الطاقم الطبي العامل (في دمشق) معلومات مفصلة بخصوص تدفق أعداد كبيرة من المرضى على المرافق الصحية، وهم يعانون من أعراض مثل التشنجات واللعاب الغزير وتقلص حدقات العين، وتشوش الرؤية وضيق التنفس".

بعد أيام من المجزرة بدأ فريق خبراء أمميين، زيارة إلى مواقع القصف، ولم تفلح كل نداءات الاستغاثة التي وجهت للفريق الموجود في دمشق خلال ارتكاب المجزرة، في إحداث أي تأثير أو ضغط على النظام، أو القيام بأي محاولة لإنقاذ الناس، كما منعت سلطات النظام زيارة الفريق لمواقع المجزرة إلا بعد أيام، واستطاع الفريق لاحقا الوصول إلى جميع النقط، وحصل على مختلف الأدلة والشهادات الحية من الأطباء والعسكريين والمدنيين.

أنكر النظام السوري في البداية تعرض الغوطة للقصف الكيماوي، ثم ما إن تكشّفت الحقائق، حتى بدأ بشن حملة إعلامية وسياسية، تقودها وسائل إعلام محلية وإقليمية وروسية، ليتبرأ من ارتكابها ويلصق التهمة بالمعارضة، وبلغ الأمر حدود السخرية عندما تحدثت المستشارة الإعلامية للرئاسة بثينة شعبان عن أن من قتلوا في الغوطة، هم عائلات خطفها المسلحون من قرى الساحل وجاؤوا بهم إلى الغوطة وقاموا بتصفيتهم، في إشارة مبطنة للدوافع الطائفية، وأثارت المجزرة ردود فعل عربية ودولية واسعة، أسفرت عن التهديد بالتدخل العسكري وتحريك البوارج الحربية باتجاه السواحل السورية، لتتم تسوية مع النظام السوري بإيقاف الضربة العسكرية مقابل تسليمه مخزونه من السلاح الكيماوي، وهذا ما تم، في جريمة أخرى يرتكبها العالم والمجتمع الدولي بحق السوريين والضحايا، وبقي مجرم الحرب طليقا رغم توفر كافة الأدلة التي تدينه بارتكاب جريمة بحق الإنسانية جمعاء.

الطبيب ياسر الشامي عمل في فريق طبي لجمع الأدلة من محيط المواقع التي شهدت قصف الغاز، وأكد لصحيفة "القدس العربي" أنه سلم عينات للفرنسيين بعد مفاوضات، مردفا أن فرنسا الآن تنكر استلامها للعينات. "لم نستطع بعد كل هذا العناء الحصول على نتائج تحليلها، وبعد مرور سنة كاملة، بقي الموضوع قيد البحث لكن دون فائدة"، وأشار كذلك، إلى أنهم برحلتهم قاموا بتوفير آلاف الدولارات على المخابرات الفرنسية، لدراسة عينات كيميائية ملتقطة حديثاً ومعرفة مدى خطورتها، "فهم لا يأبهون لما فعله الغاز بآلاف السوريين".

وفي سياق التعليق على الحادثة بعد أن أخذ الأمر مداه في التغطية الإعلامية، منظمة هيومن رايتس ووتش، رأت أن العدالة ما زالت غائبة عن ضحايا الهجمات بالأسلحة الكيماوية على الغوطة، التي مثلت أكبر استخدام لهذه الأسلحة منذ استخدام حكومة العراق لها للاعتداء على الأكراد في عام 1988، لكن أحداً لم يخضع للمحاسبة حتى الآن.

وبكلمات نديم حوري، نائب المدير التنفيذي لقسم الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في بيان للمنظمة في الذكرى السنوية لمجزرة الكيماوي: "رغم أهمية إزالة الترسانة الكيميائية للنظام، إلا أنها لن تقدم شيئاً لمئات الضحايا الذين قضوا قبل عام، ولأقاربهم، ولن يتسنى إغلاق قضية الأسلحة الكيماوية في سورية إلا بمحاسبة أولئك الذين أمروا بهجمات الغوطة ونفذوها، ووضعهم خلف القضبان".

ليلة تعاطي الأتروبين

■ دمشق – عامر محمد

وضحكت.. حين سمعت أن هجوماً بسلاح كيماوي شن علينا منذ قليل، كانت الواحدة والنصف ليلاً، وأنا في البقالية أخطط لشراء بعض الطعام حين دخل رجل يرتدي بزة عسكرية إلى المحل، من جهازه اللاسلكي سمعنا النبأ، ضحكت... فقد اعتدت خلال السنوات الماضية على الضحك عند سماع أي نبأ كارثي مماثل، هل هذا ما يسمى بالآلية الدفاعية؟ أذكر أنني غادرت البقالية فارغ اليدين، في الشارع كان الجنون قد انتشر، انتفض الحي الذي أقطن فيه، فكرت... سأسعل قليلاً وأشم رائحة إذاً، كما في المرة التي ضربنا فيها بالكلور من أسابيع، كنت أسير حين وفجأة توقفت سيارة الإسعاف أمامي، وشدني إليها رفاقي في العمل التطوعي، وأصبحت ضمن مهمة إنقاذ عاجلة.

الظلام شديد، والكثير الكثير من سيارات الإسعاف تروح وتجيء، كأنه مشهد من فيلم هوليدي وجدت نفسي فيه فجأة -قلت لنفسي- وصلنا إلى النقطة الطبية ووزعت علينا الكمامات المضادة للغاز، لم استطع احتمال الكمامة، كانت تقطع نفسي، وعددها قليل أصلاً فرفضت ارتدائها، سريعاً انطلقنا لنقل الإصابات.

"نسلك طريق عين ترما، الظلام دامس، والرائحة الغريبة تزداد، رائحة لا تشبه شيئاً عرفته في حياتي، لا زلت غير قادر حتى اليوم على وصفها أو تشبيهها بأي رائحة، انتبهنا لسيارة معطلة، رجل وامرأة فيها، الزوجة مغمى عليها والرجل واع، غسلنا وجهيهما بالماء وحملناهما إلى السيارة، تابعنا السير وهما معنا، لم نستطع الوصول إلى النقطة التي كانت مقصدنا، إذ فوجئنا بسيارة إسعاف متوقفة في منتصف الطريق، كانت قد اصطدمت بالمنصف في طريق عودتها للنقطة الطبية، في السيارة ثمانية إصابات، الجميع مغمى عليهم، كانوا مثل النيام تماماً، نقلناهم لسيارتنا التي اكتظت كثيراً فقررنا العودة إلى النقطة الطبية.

بدأت أفكر: هل سأموت؟ المنشفة المبللة التي استخدمها لأتنفس، لم تمنع عني أنفي الرائحة، أشكال المصابين غريبة، أنا معتاد على نقل مصاب بلا قدم أو يد، تصالحت مع مشهد الدم، لكن هذا جديد، ما هذا الشعور؟ كنت أحدث نفسي إلى أن وصلنا إلى النقطة الطبية في دوما.

ما أن توقف السيارة حتى كان العمل قد قُسم، نحن المسعفون في السيارة مهمتنا إنزال المصابين، آخرون مهمتهم الغُسل، وفريق ثالث تولى الدفن، وأنا منهمك بالعمل ألقيت نظرة إلى داخل بهو المشفى، فتوقفت عن إنزال المصابين وتجمد جسدي للحظات، كان البهو ممتلئاً، جثث في كل مكان، رجال أطفال نساء، كبار وصغار، شاهدت مئات الوجوه البيضاء المختنقة، عشرات الجثث النائمة، مئات الضحايا الذين يتراكمون بسلام في كل جزء من بهو المشفى، هنا عرفت أن الصباح سيحمل رقماً مذهلاً، بعد أيام، أدركنا أننا دفنا بعض المصابين الذين لم يكونوا قد قضوا بعد، كانت الفوضى والفزع والرعب ناهيك عن عدم الاستعداد، مجالاً لتدب الفوضى فينا فتسيرنا فكانت.

غادرنا في عربة الإسعاف إلى نقطة ضربت بشكل مباشر، أذكر أننا توقفنا في الحي، نزلت من السيارة فشاهدت رجلاً في الظلام يخبرني أن عدد المصابين كبير جداً هنا، لم أفهم جيداً ماذا كان يقصد، مرّ من جانبي وتابع طريقه، سرت باتجاه أحد الأبنية، الباب مغلق ففتحته، شاهدت أول جثة، امرأة كانت قد زحفت حتى رمقها الأخير وهي تحاول الوصل إلى الباب الرئيسي، قتلها الغاز قبل سنتيمترات من هدفها الأخير، لو كانت نجحت في الوصل وفتح الباب هل كانت ستنجو؟ رفعت رأسي، باب الشقة في الطابق الأول مغلق، إذا هي لم تخرج في هذه الشقة، كسرنا الباب ودخلنا، صالون كبير، وعلى اليسار ممر لغرف النوم، دخلت أول غرفة، إنها غرفة الأطفال، هذا طفل نائم، ركضت إليه حاولت إيقاظه، هززته، حملته، رفعته، ظل نائماً، أعدته للسرير وتوجهت إلى الغرفة الثانية، الزوجان، نائمان أيضاً ولم تنفع معهما أي محاولة لإيقاظهما، كانت الجثث في وضعيات النائم الطبيعية، بلا أي تشنج أو حركة أخيرة، أو وضعية تنبئ عن مقاومة لو طفيفة لمفعول الغاز.

على طريق العودة الثانية إلى نقطة دوما الطبية، بدأت أشعر بالدوار، كان تأثير الغاز قد وصل رئتي، أذكر أن السائق كان يقود بسرعة جنونية، ولم أعد أذكر كيف وصلت النقطة الطبية، ولا أعلم حتى اليوم كم هو عدد الحقن التي أعطيت لي، أذكر فقط أن اسمها "أتروبين".

عند الثانية عشرة صباحا تقريباً أنقشع الرعب، وظهرت الكارثة، الجثث حولنا، والغاز لا يزال طرياً ورطباً، من لم يمت حتى الآن لن يموت الآن؟ هكذا كنت أظن إلى أن دخلت جامعاً مكتظاً بالهاربين من الريح السامة، عائلات متناقضة في الداخل، أب لم يتأثر بالغاز يحيط بأطفاله المصابين، يهدأ هذا ويشفق على هذا، بجواره أب مصاب وأطفاله يحيطون به، أب يراقب ابنته الوحيدة ويبتسم لها، كانت عيناه تودعانها، هي لا تدرك ما الذي ألم بها، وهو يعلم فيبتسم ويلاعبها.

توقف نقل الجثث وإحصائها ودفنها صباح الحادي والعشرين من آب، وصل رجل إلى حيث منزله ليجد أطفاله الثلاثة قد قضوا وهم نيام، هو لم يكن في المنزل تلك الليلة، أمام جثثهم بكى ثم وقف وقال، إنه لم يكن بينهم لأنه كان يبحث لهم طيلة اليوم السابق عن طعام، وحين لم يجد كان خجلاً من أن يعود للمنزل ويتابع جوعهم، ثم ضحك، وغادرهم مثلما غادروه.

الإيزيدية، موزاييك بلاد ما بين النهرين

■ ياسر مرزوق

في كتابه جدل الهويات يقول الباحث سليم مطر: "يمكن اعتبار الإيزيدية أشبه بقصر تاريخي مظهره إسلامي مزين بنقوش عربية وعبارات كردية. لكن لو أزلنا هذه الأصباغ الخارجية عن الجدار لاكتشفنا تحتها طبقة من نقوش مسيحية بأيقونات ملونة وصلبان منحوتة. ولو تعمقنا اكثر بالحفريات لاكتشفنا طبقة ثالثة من جداريات آشورية ورسومات آلهة النهرين وكتابات مسمارية. ولو تعمقنا في الحفريات سنصل إلى أعماق تاريخ المنطقة وجذورها البدائية المخفية. إن الإيزيدية من بين الكل هي أقل الطوائف التي نجحت بإخفاء طبقاتها التاريخية، بحيث تبدو وكأنها موزاييك رائع للتراث الديني والقومي لبلاد مابين النهرين".

على امتداد القرن الماضي تعرض الموزاييك العراقي لطمس ممنهج وإضفاء لون أحادي على اللوحة، فمنذ تهجير الآشوريين في العشرينات إلى تهجير اليهود على دفعات حتى منتصف القرن، يلحقهم المسيحيون والمندائيون، واليوم تحل اللعنة على الطائفة الإيزيدية بجريمة إبادة جماعية تحت مرأى ومسمع العالم، تتصدرها داعش كفاعل للجريمة والمجتمع الدولي بأسره كشريكٍ فيها، في ملفنا اليوم قراءة لواقع الطائفة ومعتقدها وتاريخها وميزاتها الاجتماعية، والتي تعامل معها الإعلام كخبر أو ضحيةٍ فقط دون النظر لما تملكه هذه الطائفة من إرث مشرقي وفلسفي وإنساني.

عن الإيزيدية

في بقعةٍ صغيرة شمالي العراق وسوريا يتوزع أبناء الطائفة الإيزيدية التي تمحورت حولها شائعات وأقاويل كثيرة منها الصادقة ومنها ما هو من بنات الخيال، وتنتمي الغالبية العظمى من هذه الطائفة إلى العنصر الكردي الغالب في تلك المنطقة، وتتركز في منطقة الشيخان شرق مدينة الموصل العراقية حيث توجد أهم مراكز الطائفة السياسية والدينية مثل قرية باعدرى موطن أميرهم، وبعشيقة وقبر الشيخ عادي وهو أعظم مقاماتهم الدينية وباحزاني وغيرها، كما يوجد قسم كبير منهم في جبل سنجار وبعض القرى الواقعة على الحدود السورية العراقية التركية.

ويعد جبل سنجار الواقع على الحدود السورية العراقية من أمنع معاقلهم، والذي لجأوا إليه تاريخياً في زمن الشدة والاضطهاد، ويوجد قسم منهم أيضاً في ديار بكر وماردين وجبل الطور وفي بعض المناطق المحيطة بمدينة حلب السورية مثل كلس وعنتاب وغيرها، وفي ما سبق كانت نسبة كبيرة منهم توجد في المناطق الأرمنية على الحدود بين تركيا وروسيا خاصةً في منطقتي قرص وإيرداران مدينة وتبليسي عاصمة جورجيا حاليا.

والمعروف أن غالبية أتباع الإيزيدية يسكنون ضواحي المدن والقرى ويعملون في الزراعة لكن بعضهم لا يزال في طور البداوة حيث يتركزون في تجمعات قبلية ترتحل من مكان إلى آخر بحسب المواسم الرعوية وتسمى الكوجر.

واختلفت الأرقام حول تعداد الطائفة، ففي حين قدرهم ممدوح الزوبي في كتابه "عبدة الشيطان" بثلاث مئة ألف إلى نصف مليون، في حين قدر عددهم الدكتور قسطنطين زريق في كتابه "الإيزيدية قديماً وحديثاً" بستين ألفا عام 1936 مشيراً إلى أن عددهم قد نقص كثيراً بسبب الاضطهادات الدينية التي تعرضوا لها في ظل العهد العثماني في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

عدسة سوريتنا – أب 2014

الكورد الإيزيديين النازحين عند وصولهم لإقليم كردستان

تسمية الإيزيديين

اختلف الباحثون في تعليل تسمية اليزيديين، فمنهم من قال إن هذه التسمية جاءت نسبةً إلى الخليفة الأموي يزيد بن معاوية الذي أحيا دينهم القديم وأطلق عليه أسمه، وذلك بحسب "الموسوعة الميسرة في المذاهب والأديان المعاصرة" ويوافق البعض الآخر من الباحثين على ذلك لكنهم يجعلونه يزيداً آخر وهو يزيد بن أنيسة زعيم إحدى فرق الخوارج في صدر الإسلام، بينما يميل آخرون إلى اشتقاق هذه التسمية من كلمة "يزدان" الفارسية التي تعني اللّه أو يزد التي تعني حري بالعبادة وتطلق على الملائكة الذين يتوسطون بين اللّه والبشر، ويرجح الدكتور زريق صحة التسمية الأخيرة.

وكما تباينت الآراء حول تسمية الإيزيدية تباينت واختلفت في مسألة أصل هذه الديانة، ومرد ذلك هو الاختلاف في مقولات اليزيديين أنفسهم، فبعض رواياتهم تعود بهم إلى آدم وتؤكد أنهم ولدوا منه وحده فيما ولدت بقية الشعوب من حواء وحدها، كما نجد أسطورة أخرى تؤكد أن مؤسس مذهبهم ولد من زواج معاوية بن أبي سفيان بامرأة عجوز انقلبت بصورة غامضة إلى فتاة جميلة وفاتنة في العشرين من عمرها، كما يرجع بعضهم أصل الطائفة إلى المسيحيين النساطرة ويؤكدون أن مقام الشيخ عادي كان ديراً لرهبان النساطرة الذين كانوا يسكنون تلك المنطقة ولا زال بعضهم فيها حتى اليوم، وهناك من يرجع أصلهم إلى طائفةٍ زرادشتية انتقلت من فارس إلى المنطقة وأقامت فيها.

عقيدة الإيزيدية

من الواضح ولدى مطالعة الكتابات التي تناولت عقيدة اليزيديين تأثرهم بالعقائد الشرقية القديمة التي تبني الكون على ضدين نور وظلام لا يبنى العالم من دونهما، ومع مرور الزمن اختلطت عقائدهم بمعتقدات من جاورهم من السكان من يهود ومسيحيين ومسلمين وغيرهم، فقد أخذوا عن اليهودية تحريمها لبعض الأطعمة، وأخذوا عن المانوية حب المعرفة المتعلقة بديانتهم، وأخذو عن المسيحية المعمودية والعشاء الرباني وزيارة الكنائس والتبرك بها وخاصةً في حفلات الزواج، وأخذو عن النساطرة فكرة التثليث بالمفهوم النسطوري، وعن الإسلام أخذوا الختان والصوم وتقديم القرابين والحج والكتابة على القبور، وعن الباطنية أخذوا كتمان العقيدة، وعن الصابئة المندائيين التقمص، وعن الصوفية الوجد وتعظيم المشايخ، وعن الشامانية طرق الدفن وتفسير الأحلام والرقص الديني.

ويعتقد اليزيديون أن أصحاب الديانات السماوية يخطئون حين يلعنون الشيطان أو إبليس، فالشيطان أو ملك الطاووس هو الملاك الأعظم الذي عصى أمر به عندما أمره بالسجود لآدم فعاقبه على خطيئته فندم وظل يبكي سبعة آلاف سنة حتى ملأ سبع جرار من دموعه وألقاها في جهنم فأطفأ نارها فأعاده اللّه إلى مركزه الرفيع في إدارة الكون.

ويعتقد اليزيديون بأن اللّه خلق الكون ومافيه، ثم تركه لمساعديه، الذين يعتبرهم البعض آلهة بمعنى الكلمة بينما يعتبرهم آخرون ملائكة، ويرجع اسماعيل بك جول أمير الإيزيدية في بدايات القرن الماضي والذي نشر معتقداتها، أن المساعدين هم آلهة من الدرجة الثالثة فالدرجة الأولى هي للّه والثانية لإبليس أو ملك الطاووس، والثالثة لهؤلاء الآلهة، وينقل القس "إسحق البرطلي" عن أحد مشايخ الإيزيدية في كتابه "الديانة الإيزيدية" الذي اعتمد بدوره على ما تناقلته الأجيال من أساطير إضافةً إلى الكتب المقدسة الإيزيدية قوله: "إن اللّه خلق من ذاته ومن نوره ستة آلهة أخرى تعاونوا فيما بينهم لخلق بقية المخلوقات ثم خلقوا أماكن مريحة لهم في سبعة أسرة".

وعن تسمية الشيطان باسم الملاك الأعظم أو ملك الطاووس روايات مختلفة، منهم من قال إن كلمة طاووس محرفة عن تموز أهم آلهة البابليين، ومنهم من يرجع ذلك إلى أسطورة تداولها الناس مفادها أنه عندما أغوي الشيطان آدم وحواء اشترك معه الطاووس والحية كواسطةٍ بينه وبين آدم. وهناك من يقول أن الشيطان كان يسمى طاووس الملائكة ولذلك سمي الملك طاووس.

أما نبي هذه الديانة فهو الشيخ "عادي" الذي يروي عنه اليزيديون أخباراً وروايات، ويرفعونه أحياناً فوق درجة النبوة والقداسة حتى يتحد مع ملك الطاووس ويشاركه الألوهية، والشيخ عادي بحسب "عبد الرزاق الحسني" في كتابه "اليزيديون حاضرهم وماضيهم" إنما هو عدي بن مسافر

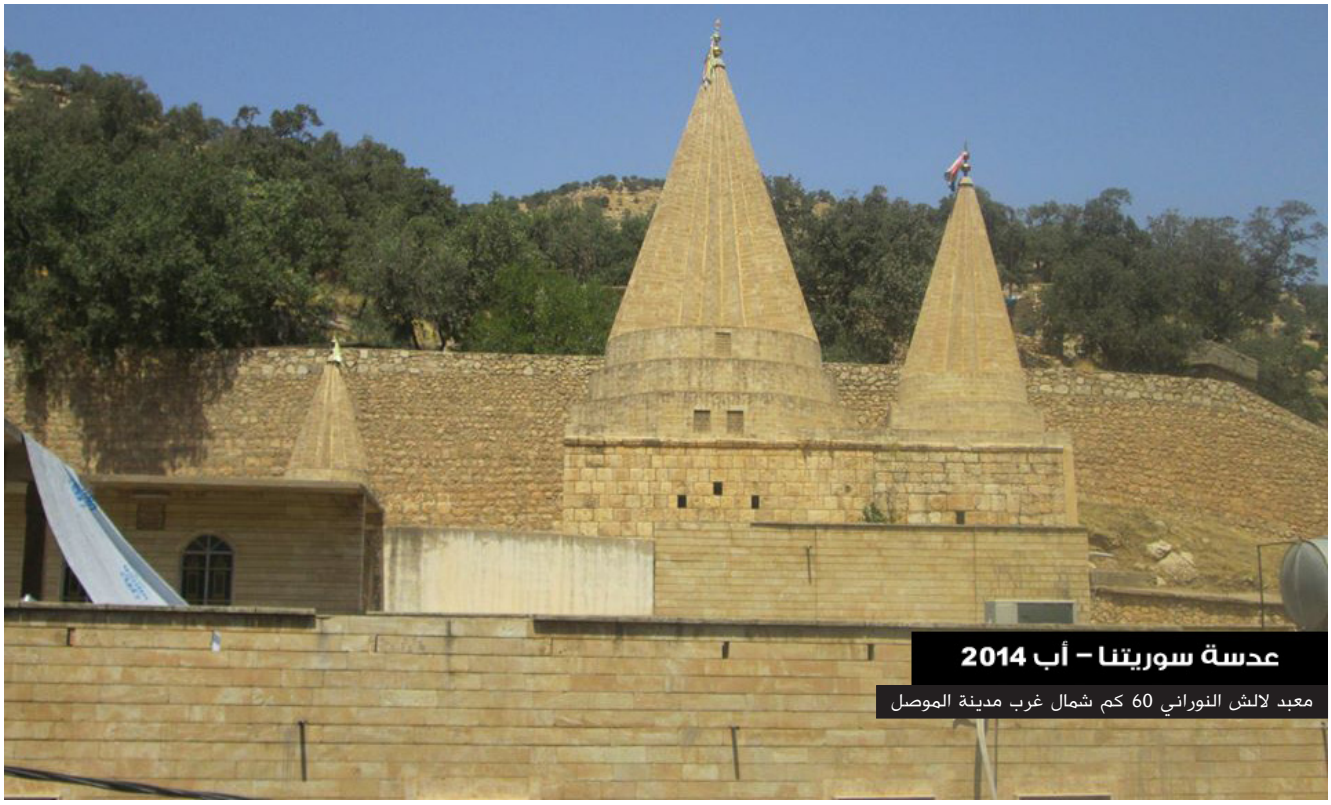

عدسة سوريتنا – أب 2014

معبد لالش النوراني 60 كم شمال غرب مدينة الموصل

الأموي الذي ولد قرب مدينة بعلبك اللبنانية ثم رحل إلى الموصل حيث بنى زاويةً في جبالها فعظمت شهرته إلى أن توفي في منتصف القرن السادس للهجرة، لكن الواقع أن مأخلفه عدي بن مسافر من آثار ومخطوطات ينفي تماماً صلته بهذه الديانة.

ويعتقد اليزيديون أيضاً بالثالوث المقدس "اللّه - ملك الطاووس - الشيخ عادي" إضافةً لكائنات وملائكة أخرى تتوسط بين الثالوث وبين البشر مثل " الملك دردائيل، والملك ميخائيل وزرزائيل وشمخائيل الذي يسمى أيضاً نصر الدين، ولم تحدد الإيزيدية مقامات هؤلاء بدقة ولا وظائفهم.

وعلى رأس المذهب اليزيدي شيخان أو أميران أحدهما زمني والآخر روحي، الأول يلقب بأمير، ويقطن في قرية باعدرى، ويدير أمور أتباعه ويمثل الطائفة أمام الجهات الحكومية، والثاني يمثل بشخصه السلطة الروحية العليا والمرجع الأعظم لكل ما يتعلق بالدين والعقائد الإيزيدية.

ويؤدي اليزيديون الصلاة مرتين في اليوم صباحاً ومساءً متجهين نحو الشمس، ويصومون ثلاث أيام في شهر كانون الأول من كل عام ويحجون سَنوياً إلى قبر الشيخ عادي بين الخامس عشر والعشرين من شهر أيلول، ويعتبرون هذا الحج أعظم فرائضهم الدينية، وأهم أعيادهم هو عيد رأس السنة الخاص بهم ويسمى "سرسالي" ويقع في أول أربعاء من شهر نيسان، كما تحفل السنة بأعياد السناجق وهي أشكال معدنية من حديد أو نحاس يعلوها تمثال الطاووس، ويطاف بها في القرى وتجمع لها التبرعات.

وبحسب "درويش حسون بون" في كتابه "الإزداهيون اليزيديون" فهم يحرمون أكل الخس والقرع والفاصولياء وهناك روايات تقول إن ذلك بسبب الاعتقاد بأن الشيطان يسكنها، كما يحومن أكل لحم الديكة والطاووس المقدس لأنها حسب اعتقادهم لأنه نظير ملك الطاووس، كما يحرمون اللون الأزرق لأنه أبرز لون من ألوان الطاووس، كما يحرمون الثياب ذات الياقة المفتوحة، كما كان اليزيديون سابقاً يحرمون القراءة والكتابة، ويحصرون تعلمها من قبل عائلةٍ واحدة تقطن قرية بعشيقة الواقعة غرب مدينة الموصل العراقية، لكن هذا التحريم اضمحل مع الزمن وباتت الجالية الإيزيدية في ألماني وكندا بالذات تتبوأ أعلى المناصب العلمية، إضافةً إلى انتشار التعليم لدى المواطنين اليزيديين العراقيين وإن بنسبةٍ أقل.

أما كتبهم المقدسة فهي كتاب الجلوة، ومصحف رَش وهو كتابٌ صغير يتحدث عن خلق الكون، وعن طريقة خلق كافة المخلوقات.

مجتمع الإيزيدية

لا يزال النظام الاجتماعي في المجتمع اليزيدي في دور القبلية، وكل قبيلة منهم تقسم إلى بطون وأفخاذ يرأسها شيوخ يديرون أمورها، وينفصل مجموعهم إلى طبقات معينة تفصل بينها حدود واضحة، فمنهم العوام والروحانيون والكهنة حيث يشكل العوام طبقة مستقلة بغض النظر عن الفروق الاقتصادية بين أفرادها، أما الكهنة فينقسمون إلى عدة طبقات وهي الشيخ والبير والفقير والقوال والكوجك، ودون الجميع الفراش والشاويش وخادم قبر عادي، ويمتاز أهل كل طبقة بلباس خاص ويقومون بوظائف محددة، ويحافظ اليزيديون على هذا التقسيم الديني الاجتماعي مما يضمن بحسب معتقدهم سلامة جنسهم ونظام دينهم، فلا يمكن لأفراد إحدى هذه الطبقات أن يتزوجوا من غير طبقتهم أو يرتقوا إلى طبقة أعلى منها بل يتحتم عليهم الحياة والممات ضمن التصنيف الاجتماعي الديني الذي ولدوا فيه.

ويعطل اليزيديون عن العمل يوم الاربعاء من كل أسبوع ويعتبرونه يوماً لطاووس ملك، حيث يجتمعون عند شيخ القرية الذي يسمى مجاور القرية ويقدمون له الهبات والأعطيات.

ويحرم اليزيديون الزواج من امرأة الأخ أو العم أو الخال ويعتبرونه بمثابة الزنا الموجب للعقاب، كما يحرمون الربى، ويلتزمون بموالاة الحكومة التي يعيشون في ظلها، كما يحرم اليزيديون الزواج من غير يزيدية أو العكس، ويتزوّج اليزيديّون من امرأة واحدة في معظمهم، على الرغم من أن الشخصيات البارزة قد تتزوج بأكثر من امرأة. يُعمّد الأطفال عند ولادتهم والختان شائع وإنْ لم يكن إلزامياً. يُدفن الموتى في قبور مخروطية بعد وفاتهم مع وضع الأيدي بشكل صليب على الصدر.

سلسلة الاضطهاد

تعرضت الإيزيدية عبر تاريخها لسلسلة من الاضطهادات والمجازر بسبب فتاوى التكفير والخروج عن الدين، ولعل أول حملةٍ ضد اليزيديين رصدتها الكتب التاريخية كانت زمن الخليفة العباسي المعتصم، وبعدها بعدة قرون وتحديداً في القرنين السادس والسابع عشر، على يد ولاة بغداد العثمانيين مثل حملة حسن باشا عام 1715، وحملة أحمد باشا عام 1732، وحملة سليمان باشا عام 1752، ومن ثم حملة نادر شاه الفارسي، التي تواصلت للفترة من 1732 - 1743، ومن ثم حملات أمراء الموصل من الجليليين، والحملة على إمارة الشيخان والحملات على يزيدية جبل سنجار، ثم حملات الباشوات العثمانيين، أولها يعود للعام 1560م عندما صدرت فتوى من مفتي الأستانة أبو السعود العمادي بقتلهم، ومنها حملة علي باشا عام 1802م، وحملة سليمان باشا الصغير 1809م، وحملة اينجه بيرقدار 1835م، وحملة رشيد باشا علم 1836 وحملة حافظ باشا 1837 م وحملة محمد شريف باشا 1844 - 1845م، وحملة محمد باشا كريدلي أوغلوا 1845 - 1846م، وحملة طيار باشا 1846-1847م، وحملة أيوب بك 1891م، وحملة الفريق عمر وهبي باشا 1892م، ومن ثم حملة بكر باشا 1894م، وحملات أمراء رواندز حملة محمد باشا السوراني 1832 - 1834م، وحملة بدرخان بك 1844، والحملات خلال القرن العشرين وحتى اليوم منها تشريد اليزيديين من قبل الأتراك الفتيان إبان مذابح الأرمن 1915 ومن ثم حملة إبراهيم باشا 1918 وحملة سنة 1935 من قبل الجيش العراق الملكي، ومن ثم حملات الأنفال في العراق خلال الفترة 1963 - 2007م، وفتاوى المتطرفين وتحليل هدر دم الإيزيديين ونكبة سنجار في آب 2007م.

أما اليوم ومع هجمة داعش الأخيرة ووفقاً وأفادت لتقارير صادرة عن الأمم المتحدة، فإن 40 ألف عراقي على الأقل من الطائفة الإيزيدية، معظمهم من النساء والأطفال، لجأوا إلى تسعة مواقع بجبل "سنجار"، وأوضحت أن ما لا يقل عن 130 ألف من الإيزيدية، فروا إلى "دهوك" في الشمال الكردي أو إلى محافظة "أربيل"، مشيرة إلى أن السلطات العراقية تكافح منذ شهر حزيران الماضي، أكبر وأسرع تحركات للاجئين في العقود الأخيرة.

لكن وبالرغم من مسلسل الاضطهاد التاريخي الذي استمر قروناً، حافظت هذه الطائفة الوادعة على وجودها في الجبال والحواضر وهي اليوم تتعرض لأخطر حملة تطهير في تاريخها، ربما تمهيداً لخرائط جديدة في المنطقة تضيع معها حقوق الأكثرية وتفنى فيها الأقليات..

فصول من مأساة الكورد الإيزيديين

■ ديلاور | مراسل سوريتنا من مخيم دوميز - محافظة دهوك

اصطدم أكثر من 360 ألف كوردي إيزيدي في مدينة شنكال، التابعة لمحافظة نينوى العراقية وقرى جبل سنجار، بواقع جعلهم محاصرين في أعلى جبلهم الممتد على مساحة أكثر من سبعين كيلو متراً، بينما تمكن آخرون من الفرار إلى مدن إقليم كوردستان أو جارتهم سوريا. ويعتبر الكوردي الإيزيدي المحاصر والنازح، أوفر حظاً ممن فقد حياته أو أصبح مصيره مجهولاً بعد أسره على يد مسلحي تنظيم "الدولة الاسلامية".

عودة النخاسة..

من بين أسرى داعش 500 امرأة إيزيدية، وفقا لما أوردته تقارير إعلامية. هؤلاء النساء معتقلات في سجن مدينة تلعفر، أحد معاقل مسلحي داعش. تحدث أحد ناشطي مدينة الموصل العراقية عن مصيرهن: "يتم بيع النساء في مزاد علني"، وذكر نفس المصدر لـ سوريتنا، أن "أحد أبناء الموصل اشترى ثلاث نساء إيزيديات ولم يكن يمتلك المال الكافي ليشتري أكثر كي يحررهن فيما بعد". وعن مصير بقية النساء يقول المصدر الذي رفض الكشف عن اسمه، إنه يجهل مصيرهن، ولكنه واثق من أن "حالات اغتصاب عديدة تعرضت لها الإيزيديات من قبل مسلحي داعش، الأمر الذي أكده مراسل فضائية (رووداو) الكوردية في شنكال، بركات عيسى، الذي بقي محاصراً لمدة أسبوع في أعلى جبل سنجار، حيث روى على الفضائية أنه "جرى أسر فتاة من قبل مسلحي داعش لأيام، ثم جاءت الفتاة بعد ذلك تطلب أن يقتلوها كونها تعرضت لاغتصاب جماعي من مسلحي داعش". ويمضي عيسى بقوله: "لم يكن في وسعنا إلا البكاء معها".

هل حقا خمسمئة فقط؟

(دلكش) أحد النازحين في قرية شاريا على أطراف مدينة دهوك، يشير إلى أن أخته معتقلة لدى داعش، ووفقا لمعلوماته هي "في سجن بادوش بالقرب من الموصل مع 200 امرأة أخرى"، ويقول إنه يتم الضغط عليهن كي يعتنقوا الإسلام، فيما لم يتحدث (دلكش) عن حالات تعذيب أو اغتصاب، لكن هذا الرقم يأتي مضافا لـ 500 امرأة كوردية إيزيدية ذُكر احتجازهن في سجن تلعفر، وبعد وصول المحاصرين إلى محافظة دهوك، نقلت شهاداتهم احتمال وجود أعداد أكبر من النساء، ولكن الجميع يفيد فقط بوقوعهن أسرى في يد داعش، بينما لا يعرف أحد شيئاً عن مصيرهن بعدها.

سبعة أيام مع الصخر

سقطت شنكال يوم الثالث من آب، بعد يوم من سقوط ناحية زمار ومعسكر كسكي على الحدود السورية العراقية بيد مسلحي تنظيم الدولة، على إثر ذلك نزح أكثر من 200 ألف كوردي إيزيدي إلى أعالي جبل شنكال، لتكتمل المأساة بمحاصرة داعش لهم وحرارة الشمس. جبل شنكال الفقير بالأشجار كان عامل وعورة أساسيا، وانتشرت صور الأطفال النائمين على الصخور.

الإعلامي فارس مشكو بقي أيضا لثمانية أيام محاصرا، ويقول إن جبل شنكال "يحوي نبعا واحدة هي (بير خايي)، وبئر ماء جف بعد يومين"، ويمضي في حديثه لـ سوريتنا عن فصول المأساة، مؤكدا أن من كان معه طعام نفد منه في اليوم الثاني على أكبر تقدير".

مشكو يضيف أن داعش اقتحمت قرية الوردية التي تبعد 14 كم عن مدينة شنكال، واعتقلته وألفا من الإيزيديين لساعات، وما إن قصفت طائرات لم تعرف هويتها حتى انسحبت داعش من تلك القرية، "وأخذوا معهم مئتي معتقل ومعتقلة، ولاذ الباقون بالفرار. كنت بين الناجين، وعشت مع والدي أياما دون طعام، اضطررنا إلى أكل أوراق الشجر وبعض الماء من النبع الذي كان محاصرون يمشون ساعات للوصول إليه، للشرب ومن ثم العودة إلى أهاليهم ببعض الماء".

عدسة سوريتنا - أب 2014

وصول بعض المحاصرين الى اقليم كوردستان عبر سوريا

يصف مشكو كذلك أنهم اصبحوا أمام موت محتوم، ولم يكن يعلم شيئا عن زوجته وابنتيه اللواتي توصل لاحقا إلى أنهن في مكان آخر من الجبل.

وبحرقة يحدثنا عن عديد الأطفال الرضع، أو المسنين الذين ماتوا جوعاً وعطشاً، "كان الموت في كل مكان، ولم يكن لدينا أمل في النجاة.. كانت كل الطرق مسدودة أمامنا".

زوجة مشكو وابنتاه نجون من الحصار ووصلن لمدينة دهوك بعد سبعة أيام، بينما وصل هو ووالداه في اليوم التالي، ليتقاطر أكثر من مئة وعشرة آلاف نازح خلال خمسة أيام إلى محافظة دهوك، و12 ألف نازح في مخيم نوروز بمحافظة الحسكة السورية.

طعام وشراب من السماء

بعد اليوم الخامس انطلقت طائرات الهيلكوبتر العراقية من مطار عسكري في إقليم كوردستان العراق، محملة بطعام وماء للمحاصرين في الجبل، وهز العالم مشهد المئات من الناس يتدافعون للحصول على الطعام أو لركوب الهيلكوبتر، التي أنقذت أول 51 شخصا من المأساة، وتلتها متوالية طائرات تحمل الغذاء والماء وما أمكن من مساعدات أخرى للمحاصرين.

طريق الحياة

تمكنت قوات البيشمركة ووحدات حماية الشعب التي دخلت إلى جبل شنكال وناحية سنون تحديداً، ولحقت بهما قوات حزب العمال الكوردستاني، من فتح طريق يمتد من أعلى جبل سنجار مرورا بالقرب من ناحية سنون، إلى سوريا، ومنها جرى نقل الناجين بسيارات إلى معبر فيش خابور الحدودي بين إقليم كوردستان العراق وسوريا، ليعودوا إلى الإقليم، ومنهم من نزح إلى مخيم نوروز في مدينة ديريك في محافظة الحسكة.

الطريق كما يقول (نشوان) استغرق بشكل متوسط ثماني ساعات سيرا على الأقدام، وكان وصولهم لسوريا يعني أنهم أصبحوا بأمان.

وصل أكثر من مئة وعشرة آلاف نازح إلى محافظة دهوك، ليتوزعوا في أربعة مخيمات بنيت لأجلهم على أطراف مدينتي دهوك وزاخو، ويتوزع البقية في المدارس والمراكز الثقافية الإيزيدية، كان هناك قبلهم مئة ألف نازح تمكنوا من الوصول في يوم 3 آب، لتحتضن دهوك، وهي صغرى محافظات الإقليم الثلاث وصغرى محافظات العراق أيضا، أكثر من 700 ألف لاجئ من كورد سوريين وكورد إيزيديين ومسيحيين من الموصل.

لالش من دار عبادة إلى مخيم

معبد الإيزيديين، "لالش النوراني"، هو أكثر أماكن العبادة قدسية عندهم وإليه يحجون، وفيه (كانيا سبي) "النبع البيضاء" الشبيهة بماء زمزم في الديانة الاسلامية، حيث يقومون بتعميد أولادهم، ويمتلئ بمراقد شخصيات مقدسة في الديانة الأيزيدية، وفيه كذلك مكان الأفعى المقدسة التي يعتقد الإيزيديون أنها أنقذت البشرية، عندما ثقبت سفينة النبي نوح، فأغلقت الافعى مكان الثقب ومنعت تسرب الماء، لتحمي الكائنات من الغرق.

الآن، امتلأت أروقة معبد لالش بالنازحين الإيزيديين، وباتت تضم في جنباتها أكثر من ثلاثة آلاف إيزيدي كانوا يوماً يزورونها للتبرك، واليوم لجؤوا إليها بحثا عن الأمان.

كل الإيزيديين نازحون

وخوفا من تكرار مأساة شنكال، هرب الإيزيديون من قرى (ختارة)، (باعدرى)، (بعشيقة)، (تل كيف)، وهي القرى التابعة إداريا لمحافظة نينوى، واصطلح على تسميتها "مناطق المادة 140"، في إشارة إلى المناطق المتنازع عليها بين الحكومة الاتحادية في بغداد، وحكومة إقليم كردستان العراق، وتنظم وضعها بصورة مؤقتة المادة 140 من الدستور.

يُذكَر أن المجلس الروحاني الإيزيدي طالب بالحماية الدولية لجبل شنكال، كي يأمنوا على حياتهم مرة أخرى هناك، ويعودوا إلى ديارهم، كما طلب المجلس من الدول الأوربية وخصوصا ألمانيا الاتحادية، فتح باب اللجوء للأيزيديين.

الفرمان الثالث والسبعون

من الجدير ذكره ختاماً، أن عملية الابادة التي لا يمكن معرفة أعداد ضحاياها حاليا، ليست الأولى التي يتعرض لها الإيزيديون، وفقا لمؤرخي الديانة التي يربو عمرها على ستة آلاف عام، فقد تعرض الإيزيديون تعرضوا إلى اثنين وسبعين فرمان إبادة من السلطات التي تعاقبت على حكم المنطقة. ردد الشعب الإيزيدي دائما: "72 إبادة لم تقض على عقيدتنا"، ولكن هناك الآن من يتحدثون عن "الفرمان الثالث والسبعين". المسنون من حملة الديانة الموغلة في القدم، يقولون إنه الفرمان الأكثر وحشية.

الخطاب الطائفي والصراع في سوريا

■ مهند النادر

مع استمرار الصراع في سوريا واتساع رقعته في الأقطار المجاورة يزداد صدى الخطاب الطائفي ويطغى على أي فهم أو تحليل لجوهر الصراع القائم خاصة بوجود السلفيين السُنة من جهة والإسلاميين الشيعة المتأثرين بإيران وأيديولوجيتها من جهة أخرى، وعند متابعة خطاب الطرفين نجد أن اللغة الطائفية تسود لدى الطرفين ونرى أن القتال بين السُنة والشيعة عاد إلى الاحتدام في العراق ويتصاعد في لبنان ووقعت العديد من الحوادث في أكثر من بلد يتواجد فيه أتباع الطرفين.

إن استخدام الكلمات والعبارات الطائفية من قبل دعاة كل طرف يتسع إلى أبعد مدى مما ينذر بتزايد مخاطر تحول الصراع إلى صراع طائفي يسعى فيه كل طرف إلى نزع الصفة الإنسانية عن الطرف الآخر، وهذا يهدد بانتقال الصراع من سوريا إلى مساحات إقليمية واسعة على مدى توسع أتباع الطرفين، وبما أن الخطاب يعتبر مؤشراً على طريقة تطور الصراع وكيفية رؤية كل طرف للآخر، فعلينا تتبع عدد من المصطلحات وفهم دلالاتها.

لقد استخدم الإسلاميون السُنة، وخاصة السلفيون، مجموعة من المصطلحات لوصف داعمي نظام الأسد، وهي: رافضة، نصيريون، مجوس، صفويون، حزب اللات، حزب الشيطان. كما اعتمد خصومهم من الشيعة أيضاً مجموعة من الألقاب تخص السُنة وهي: ناصبة، تكفيري، أموي، ووهابي. وهذه المصطلحات تهدف إلى تصوير الطرف الآخر على أنه كافر همه تدمير الإسلام وبالتالي ليس له سوى عقوبة واحدة وهي: القتل.

استخدم الشيعة مصطلح «الناصبة» وجمعها «نواصب» لوصف أعدائهم من السُنة، وتستخدم هذه الكلمة كتوصيف لمن يكره آل بيت النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وحسب الفقه الشيعي فإن من يوصف بالنواصب يعتبرون غير مسلمين وبالتالي هم من الكفار. واستخدام هذا المصطلح يدل على أن الشيعة الذين يقاتلون في سوريا يلتزمون بفتاوى دينية تدعو إلى حرب دينية مقدسة أطلقها رجال دين مدعومون من ايران، وقد أصدر آية الله العظمى الحائري يوم 5 تشرين الثاني 2013 فتواه التي يصف فيها الثوار السوريون بأنهم «كفار» ويدعو فيها أتباعه إلى الجهاد ضدهم.

وبالمقابل استخدم دعاة السنة مصطلح «الرافضة» التي تشير إلى الشيعة، وسبب التسمية أن الرافضة لا يعترفون بشرعية خلافة أبو بكر ومن تبعه من الخلفاء الراشدين بعد وفاة النبي. واستخدمت مؤخراً للدلالة على ايران بسبب موقفها الداعم لنظام الأسد. وعمل الجهاديون السنة على تكريس هذا المصطلح في ذهن السكان من خلال الكتابة على الجدران في المدن والقرى التي يتواجدون فيها، وفي إحدى لوحات تنظيم «الدولة الإسلامية في العراق والشام» في مدينة حلب كتب فيها «قتال المرتدين والنصيرية والرافضة هو واجب».

وتشير كلمة «النصيري» التي يستخدمها الإسلاميون السُنة، إلى أبو شعيب محمد بن نصير، مؤسس المذهب العلوي خلال القرن الثامن الميلادي. ويهدف استخدامها إلى تصوير الطائفة العلوية على أنها تتبع رجلاً وليس الله وبالتالي نزع الصفة السماوية عنها، وعلى الرغم من استخدام بعض الجهاديين العالميين لهذا المصطلح قبل سنوات عديدة للإساءة لنظام الأسد والعلويين بشكل عام، إلا أن السوريين بشكل عام لم يستخدموه قبل الثورة، إلا أنه أصبح شائعاً في صفوف الثوار وخارجهم ومن السهل العثور على من يستخدم مصطلح «تصيري» عند الحديث عن الأسد وأنصاره. وفي مقابلة على قناة الجزيرة مع حسن عبود قائد فصيل «أحرار الشام» في حزيران 2013 يقول: «إن ما يحدث في سوريا هو أن الدولة دُكمت بفكرة نصيرية، وهي جماعة شيعية صعدت إلى سدة الحكم وبدأت بالتمييز ضد السُنة، فقد منعتهم من ممارسة شعائرهم الدينية ورسمت صورة للإسلام بعيدة كل البعد عن معنى الإسلام، مع تقاليد وممارسات ليست إسلامية على الإطلاق، وأرادت أن يمسح الإسلام الحقيقي من البلاد».

ويستخدم الجهاديون الشيعة اتجاه السُنة مصطلح «التكفيريين»، والتكفيري هو مسلم يعلن أن مسلماً آخر كافراً مما يتيح له قتله. ودأب نصر الله زعيم «حزب الله» اللبناني على استخدام هذا المصطلح لتوصيف ومهاجمة الجماعات المعارضة لنظام الأسد وحلفائه، ويهدف استخدام هذا المصطلح في جانب منه إظهار الجماعات الإسلامية المدعومة من ايران على أنها تؤمن بالوحدة الإسلامية الحقيقية ولا ترغب بالاقتتال الداخلي.

وفي اطار التعبئة المتبادلة أطلق معارضو النظام على حزب الله اسم «حزب اللات» و«حزب الشيطان»، واللات هي ألهة عربية كانت موجودة قبل الإسلام وتعتبر أنها ابنة الله، وهذا يعني وصف «حزب الله» بأنه جماعة من المشركين وليس مؤمنين، وبالتالي واجب قتالهم والقضاء عليهم كما فعل النبي عليه الصلاة والسلام بتحطيم الأصنام في مكة. وفي الدوحة في أواخر ربيع 2013، أجاز القرضاوي بقوة الجهاد في سوريا ووصف «حزب الله» في وقت لاحق بأنه حزب الشيطان: «يأتي زعيم حزب الشيطان لمحاربة أهل السنة...».

ويستخدم كلا الطرفين الإشارة إلى «بني أمية»، فالجهاديون السُنة يستخدمون هذا المصطلح لإغاظة الشيعة والتهديد بما مضى، ففي خطاب لزاهر علوش قال «أن مجد الأمويين سيعود إلى الشام على الرغم من أنوفكم والأمر ليس متروكاً لكم لكي تسمحوا بذلك أم لا». وبالمقابل يستخدم دعاة الشيعة مصطلح «بني أمية» للتذكير بالمظالم التاريخية التي تعرضوا لها على يد بني أمية والتي تمثل جزءاً جوهرياً من مبررات وجودهم ومشاركتهم بالحرب في سوريا. ويتواجد مقاتلو الشيعة في جوار مقام السيدة زينب تحت شعار «لن تسبى زينب مرتين» الذي يذكر بقصة معركة كربلاء كي تشكل حافزاً قوياً للقتال.

ويسعى الإسلاميون السنة إلى تصوير الإسلام الشيعي على أنه يمثل معتقدات إسلامية غير صحيحة من خلال اطلاق اسم «المجوس» عليهم، والذي يشير إلى الزرادشتية وانهم يتبنون المذهب الشيعي كقناع لدين منحرف كان موجوداً في زمن سابق. كما يستخدم أحيانا مصطلح «الصفوي» الذي يشير إلى السلالة الصفوية التي حكمت ايران في الفترة 1501 – 1736 م وتأتي شهرته كونه السبب في تشيع ايران وفي مواجهة هذا الاتهام أطلق الشيعة على أعدائهم اسم «وهابيين» نسبة إلى محمد بن عبد الوهاب مؤسس الوهابية.

إن طبيعة هذه الألقاب والجماعات التي تتبناها تقدم صورة واضحة ومثيرة للقلق عند البحث في مآل الصراع في سوريا خاصة والمنطقة بشكل عام، حيث تسعى كل جهة إلى نزع الإنسانية عن الطرف الآخر كونهم يرون هذا الصراع عبارة عن معركة وجودية دينية بين السلفية السنية والشيعية، مما يؤدي إلى تشويه الصراع وحرفه عن مساره الصحيح وإدخال المجتمع في حالة من الضياع والتشظي لعقود من الزمن.

أحد حواجز الشيعة في دمشق القديمة

أمير الإذاعيين الأمير يحيى الشهابي

■ ياسر مرزوق

ولد الأمير يحيى الشهابي في قلعة الشهابيين براشيا الوادي في لبنان عام 1917، وهو من أمراء الأسرة الشهابية التي حكمت حوران ووادي التيم وجبل لبنان، تلقى تعليمه الابتدائي في مدرسة أنشأها رجل يوناني، يتقن الفرنسية والعربية من «حارة الديب» التي قضى فيها طفولته .

عام 1925 انتقلت أسرته إلى دمشق، حيث أكمل تعليمه في مدرستي الفرير واللايبك، نال بعدها شهادة الثانوية بقسمها الأدبي وإجازة في الترجمة من الفرنسية إلى العربية ومن العربية إلى الفرنسية .

بدأ حياته العملية معلماً في المدرسة الأديكية في القنيطرة، ثم انتقل للتدريس في جوبر، ثم مدينة دمشق، وفي تلك الفترة بدأ الشهابي نشاطاته الأدبية، فصدر له ديوان «السراب» عام 1935، وديوان «شهابيات» عام 1936، كما صدر له كتيب يحمل عنوان «ذكريات معلم في قرية»، انتقل بعدها لتدريس العربية في مدارس للأرمن .

وفي عام 1936 أيضاً انتقل الشهابي إلى العمل الإذاعي، حيث أقيم في مدرسة التجهيز الأولى معرض للصناعات الوطنية، وأنشئت في هذا المعرض إذاعة محلية كان يعمل فيها الأستاذ نشأة التغلبي أول إذاعي عرفته سوريا، وفيها جرب الاستاذ يحيى الشهابي صوته في الإعلانات ونجح بشكل لافت، وفي عام 1941 أنشأت إذاعة صغيرة بقوة خمسة كيلو واط في ساحة النجمة في دمشق وكانت تبث برامجها باللغة العربية عدا نشرات الأخبار فكانت بالفرنسية والانكليزية، وكانت تذيع أخبار معارك الحرب العالمية آنذاك، وكان التغلبي والشهابي المسؤولين الوحيدين عن الإذاعة وخلال العدوان الفرنسي على دمشق عام 1945 قاما بتعطيلها وتحطيم بعض أجهزتها ومن ثم الهرب، فحكم المفوض السامي على الشهابي بالإعدام إلا أن الحكم لم ينفذ بسبب الاستقلال وخروج المستعمر الفرنسي وبطلان أحكامه .

و في السابع عشر من نيسان عام 1946 افتتح الشهابي الإذاعة قائلاً: «أيها الشعب الكريم، يا شعب البطولات والتضحية، هذه إذاعتكم، إذاعة الجمهورية السورية من دمشق، إذاعة القومية العربية، إذاعة كل العرب، تنقل صوتها إليك في أعيادك، الإذاعة السورية في دمشق تتحدث إليك»، وبهذا سجل الشهابي في تاريخ الإذاعة السورية كأول صوت إذاعي في إذاعة دمشق وأول من أعلن استقلال سورية من الإذاعة وأول من سمي مديراً لبرامج الإذاعة وهو من قام بالتغطية الإذاعية لأول عرض عسكري بعد جلاء المستعمر الفرنسي عام 1946 وكان في شارع القوتلي ولم تكن هنالك تقنيات تساعده في أداء واجبه فاستعار سيارة شحن لأحد أقاربه ووقف على ظهرها كي يشاهد العرض وينقل وقائعه.

وفي العام نفسه أنشئ استديو للإذاعة في دائرة البرق والبريد التي اتبعت الإذاعة لها، ومن بعدها انشئت الاذاعة الوطنية في منطقة السبع بحرات وكانت مؤلفة من استوديوهين أحدهما للأخبار والآخر للموسيقا والتمثيليات وبدئ البث في شباط عام 1947 وكان الأمير الإستاذ يحيى الشهابي أول من قال «هنا دمشق» معلناً عن انطلاقة إذاعة دمشق الوطنية وبقيت العبارة إلى يومنا هذا تصدح من إذاعتنا، وفي عام 1948 عُيّن أمينا لمكتبة دار الآثار وقام بوضع معجم لمصطلحات الآثار بالعربية والفرنسية

كما كان الشهابي أول من كان أول من أذاع البلاغ رقم واحد زمن الانقلابات العسكرية السورية، مخفوراً بعربة عسكرية. ففي صبيحة أول انقلاب عسكري وقع في سورية عام 1949 قام به حسني

الزعيم أرسل إليه الأخير عدداً من الضباط إلى منزله فدخلوا عليه شاهرين مسدساتهم واقتادوه إلى الإذاعة بقوة السلاح وأعطوه البلاغ رقم واحد وطلبوا منه قراءته من إذاعة دمشق.

وفي عام 1950 انتقلت الاذاعة إلى مبنى خاص في شارع النصر واستقدمت لها أجهزة ارسال أقوى، وانشئت عدة محطات في بعض المحافظات وكان الأمير حينذاك مديراً عاماً لها، وفي زمن إدارته للإذاعة فتحت أبوابها للمواهب الإذاعية، فكان منهم بهجت العلبي والفني الذي أصبح ملحناً غالب طيفور وكان أول صوت نسائي للمذيعة عبلة الخوري حين انتسبت اليها في بداياتها، بالإضافة لصباح قباني، وتوفيق حسن وخلدون المالح وفؤاد شحادة وعبد الهادي مبارك وسهيل الصغير وسامي جانو، كما عمل فيها عصام حماد وزوجته فاطمة البديري وعواطف الحفار وسعدي بصوص..

اشتهر الشهابي في برنامجه «دوحة الشعر» كما أخرج تمثيلية درامية إذاعية بعنوان «في الطريق إلى دير ياسين» وفي الرابع من شباط عام 1953، كانت الانطلاقة الأولى للسيدة فيروز من إذاعة دمشق في أغنيتها الشهيرة «عتاب» وكان للأمير الدور الكبير في احتضان الرحابنة وإطلاقهم في العالم العربي .

انتقل بعدها للعمل مديراً لبرامج قسم الشرق الأوسط، في إذاعة الأمم المتحدة في نيويورك، حيث حصل على شهادة في العمل الإذاعي من جامعة كولومبيا، ثم عين ومديراً عاماً لهيئة الإذاعة والتلفزيون، فأشرف على توسيع قوة الإذاعة بإحداث محطات تقوية ووصل في كل من حمص وطرطوس ودير الزور ودمشق، كما أشرف على إنشاء التلفزيون عام 1960 إدارياً، ومراقباً في أيامه الأولى، عين بعد ذلك مديراً عاماً لتفتيش وزارة الإعلام والمؤسسات التابعة لها، وفي العام نفسه أصبح أحد المسؤولين عن تفتيش أربع وزارات هي الخارجية والثقافة والسياحة والإعلام .

عمل محاضراً في كلية الآداب فرع الصحافة ومحاضراً في المركز العربي للتدريب الإذاعي والتلفزيوني، مساهما في تأهيل الإعلاميين من خلال المحاضرات التي كان يلقيها، كما عمل محرراً في مجلة «النقاد»، تقاعد بعدها وانصرف للعمل على مشروع معجم لمصطلحات الإذاعة والتلفزيون بالعربية والفرنسية .

توفي الأمير في دمشق عام 2003 ودفن فيها، وكان بعد تقاعده قد نال أوسمة وميداليات كثيرة .

قصة قصيرة

الرهان

مضر عدس

- ما رأيك أن نتراهن.

- نتراهن.. ألم تملّ من الخسارة بعد.. تريد الرهان.. هو لك.

كل يوم رهان مختلف، رفيقان في الموت ورفيقان في الرهان، الخدمة بالنسبة إليهم مملة، ساعات طوال، يجلسان على صخرة مرتفعة تطلّ على الطريق الواصل بين دمشق وحمص، في الربع الأخير من جهة حمص كانت تقبع هذه الصخرة، في الشتاء البرد هو ما يبقيهم مشغولين، أما في الصيف فلا ثالث لهما، درجات حرارة مرتفعة في النهار أما في الليل فالجو بارد، أمضيا الشهور الأولى في التعارف وبعد مضي بعض الوقت انتهت المواضيع التي يمكن أن يتحادثا فيها، إلا إذا اشتاق أحدهما لمنزله وبدأ في غناء أحد المواويل أو تذكر قصة ما فيلقيها على زميله بأسلوبه الشائق.

أوكلت إليهما حماية هذا القطاع من الطريق، قنّاص ومساعده، صخرة مرتفعة تصلح أن تكون منارة للقنص، تكشف الطريق بشكل جيد وهما فيها آمنين، يمر النهار ببطء شديد، وهذا ما يفضلانه فالحال تبقى أحسن من أن تبدأ معركة ما، فالموت سيكون ثالثهما وهذا ما يخشيانه.

- انظر إلى المركبة القادمة من البعيد.

- نعم لقد رأيتها.. أتراهن عليها؟.

- نعم بالتأكيد.. اسمع سأراهنك على أني أستطيع قنص السائق، وأرديه قتيلاً بطلقة واحدة.

- لا. الرهان إن استطعت قلب المركبة أو لا من خلال قنص السائق.. فقنص السائق أمر بسيط ولا أراهن عليه.

- موافق.. الرهان علبة سجائر.

- حسناً.

استعد القنّاص جيداً، أمسك بندقيته ووضعه أمامه، وضع عينه اليمنى على العدسة المكبرة وأغمض اليسرى، أخذ نفساً عميقاً ثم أخرجه، وعندما اقتربت المركبة وباتت قاب قوسين أو أدنى من مواجهة الصخرة، أخذ النفس الأخير الذي سيفصل بين حياة السائق ومماته، نفس واحد يساوي حياة واحدة.

انطلقت الرصاصة على عجل ولم تمهل السائق أن يلتقط نفسه الأخير، باغتته من دون أن يدري انه هو الهدف القادم، ميتة سريعة لا نجاة منها، استقرت الرصاصة في رأسه، وخرجت المركبة عن الطريق العام وانقلبت.. نعم انقلبت وربح القنّاص الرهان وكان هو الفائز في مسابقة اليوم.

- ألم أخبرك.. أنا خيرُ من حمل بندقية للقنص في سوريا.

- نعم لقد ربحت.. أمسك هذه هي العلبة.

أخرج لفافة التبغ من العلبة التي ربحها، وأشعلها وبدأت عملية الشهيق والزفير الممزوجة بالنصر تتوالى، وبعد أن أنهى نصفها قال لرفيقه:

- ماذا سنفعل باقي اليوم؟.

- لا تقلق الرهانات لا تزال قائمة.. سيأتي دور الشباب في المراقبة.

نبلاء انتهازيون أنانيون هاربون وصامدون
فنانو سوريا التشكيليون "3"

■ دمشق – حمزة السيد

صراع الحجر

البلاد تتعرف على النحت

عرفت سوريا أول ملتقى نحت على الحجر في نهايات القرن الماضي»1998«* وشارك به فنانون سوريون فقط، كان ذلك اللقاء الأول لبعض النحاتين مع الحجر، فيما كان جزء يسير منهم قد اختبر التجربة في مرسمه الخاص أو في أعمال نفذها لصالح جهات مختلفة في داخل البلاد، إذ ومع وجود استثناءات قليلة لم يكن النحات السوري مهتما أو متدرباً أو معتاداً على تنفيذ أعمال حجرية ترتفع عن المتر الواحد، بينما توجد استثناءات لتجارب فريدة تقنيا، كتجربة شفيق نوفل في السويداء الذي نفذ عملاً على حجر البازلت الشهير بمقاومته لأزميل النحات، عمل نوفل كان يزن عدة أطنان وبقي في فناء منزله في مدينة شهبا لسنوات عديدة.

بعد ملتقى دمشق انطلقت الملتقيات الخاصة بالنحت على الحجر في سوريا، وانطلق معها صراع بين التشكيليين سواء لجهة تنظيمها أو المشاركة فيها، فابتكرت مديرية الفنون الجميلة التي كانت تديرها مها قواص القريبة جداً من أكثم عبد الحميد ملتقى المحبة للنحت على الحجر في اللاذقية والذي كان يسبق افتتاح المهرجان بعشرين يوماً، أنجز الأول عام 1998، وشارك به فنانون من أمثال أكثم عبد الحميد ومصطفى علي، وسجل الملتقى حضوراً لفنانين غير سوريين من مصر وفرنسا ولبنان تكررت التجربة لعامين بعد ذلك قبل أن تعلن الوزارة أن الميزانية لم تعد تسمح بإقامة الملتقى كل عام، فنظمته كل عامين بدلاً من ذلك.

ملتقى الضريح

في عام 2004، فاجئ مصطفى علي الوسط الفني السوري بتنظيمه لملتقى ضخم في جبال القرداحة، ملتقى «جيم» والذي يعتبر بحق أول ملتقى دولي في سوريا، شارك به فنانون من مختلف أنحاء العالم بلغ تعدادهم ثلاثون فناناً لا يتعدى عدد السوريين بينهم فنانين ثلاثة هم المنظم مصطفى علي والمغترب في إيطاليا بطرس الرمحين*، والمغترب في فرنسا ماهر بارودي، أعلن مصطفى علي أن الهدف من الملتقى هو إنشاء متحف في الهواء الطلق وقال «هذا يحتاج لسنوات، ويحتاج لتمويل أيضاً» استقدمت وللمرة الأولى حجارة من مقالع كيرارا في إيطاليا لملتقى في سوريا، وجهزت قرية «مركبة» التي تقع في جبال القرداحة بكل ما يلزم لتنفيذ الأعمال.

«جيم» هو أول بيت من قصيدة للشاعر أدونيس تتمتها «أمس المكان الآن» كان يتواجد في موقعه وبين نحاتيه بشكل دائم الضابط المسؤول عن ضريح حافظ الأسد، فيما لم يكن مصطفى علي يخفي أن من يمول الملتقى، مجموعة شركات قريبة من السلطة السورية، كشركة جود وشركة النفط السورية وشركات رامي مخلوف، الأعمال نفذت بأحجام قياسية إذ بلغ بعضها ارتفاع أربعة أمتار، ولم يكن معلوماً أين ستوزع الأعمال.

كان علي يخطط ليجعل الملتقى حدثاً سنوياً، مما سيعطيه قوة في داخل البلاد، وما سيعزز من اسمه في خارجها، وكان أغلب من قام بدعوتهم من فناني أوربا، يديرون ملتقيات في بلادهم، وكانت ولا تزال العادة أن ترد الدعوة بدعوة مثلها، ما سيؤمن لعلي زيارات ومشاركات مستمرة.

الأجنبي المتملق والزلطة

أحد أعمال جيم كان «الزلطة» للنحات الروماني ليونارد راكيتا، الذي يعرف العالم العربي بشكل جيد، إذ زار مصر لعدة مرات، ونفذ أعمالاً في السعودية والإمارات والكويت وغيرها من الدول العربية، وكما هو اسم منحوتته كان تكوينه، إذ نفذ كتله ضخمة تحاكي أي حجر بحري صغير تلتقطه بيدك، شكل بيضوي أملس للغاية، مصقول الجوانب شديد التناظر، لكن راكيتا كان يخطط لما هو أبعد من المشاركة في المتلقى، إذ كان يروج طوال فترة شهر، لأكاديمية يود إنشاءها لتعليم الفنون الجميلة في اللاذقية، وبطريقة فجة ومباشر للغاية، أعلن راكيتا أنه يود افتتاح أكاديمية الأسد للفنون الجميلة في اللاذقية، راكيتا كان يعلم أن الأسد من اللاذقية، وكان يقول إن هذا المشروع سيكون خدمة يقدمها الرئيس الشاب لأبناء الساحل، لم يكن الفنان الروماني يدرك أن من يحدثه ليس ابن الساحل أو لا ينتمي للطائفة العلوية، إذ كان يعتبر الجميع أبناء سلطة.

لم يجد راكيتا الشخص المناسب الذي يوصله للأسد كما كان يشتهي، فتعاليه وظنه الغباء بالعرب عموماً وفضائحه السابقة لم تساعده في مسعاه، إذ اكتُشف لاحقاً أنه حاول إنشاء أكاديمية مبارك في مصر، وزايد في الأمارات، فيما حاول كثيرا إقناع السعودية والإمارات بغمر أعماله «زلطاته» على الشواطئ، وكان يرسم الفكرة كي يقربها من المسؤولين في البلدان التي يزورها.

كما فشل راكيتا في مشروعه فشل مصطفى علي في مسعاه لتأسيس ملتقى ثابت، إذ لم يعد من أحد يهتم في عام 2005 بدفع المال لإعادة الملتقى، فوزع علي في خطة أخيرة أعمال الملتقى على الطريق الجبلي الساحر الموصل إلى مطعم الأسد كما يعرف في تلك المنطقة «نسمة جبل» على الأسد يسأل عن الأعمال ويدعم الملتقى من جديد، ويقال أن الأسد شاهد الأعمال التي وزعت بالفعل بمعية ضابط الضريح في ذالك الطريق، إلا أنه لم يبدي اهتماماً يصل لحد الدعم.

فارس الحلو المتهم

بعد جيم، أطلق أكثم عبد الحميد عدة ملتقيات صغيرة في دمشق واللاذقية، فالفنان مدير معهد الفنون التطبيقية التابع لوزارة الثقافة، نظم ملتقى في الزبداني بريف العاصمة، وأخر في مدينة المعارض الجديدة على طريق معرض دمشق الدولي، وجبلة والملاجة في طرطوس، واطلق ما عرف فيما بعد بالحدائق النحتية في المونيكار بإسبانيا*، كان عبد الحميد يعتمد على نقطة قوة لا يمتلكها علي، وهي طلابه في المعهد الذين كانوا يوافقون على العمل مجاناً في بعض الأحيان أو حتى مقابل نصف ما يتقاضاه المحترف، وفي ذات الوقت نظم عبد الحميد بالشراكة مع الممثل فارس الحلو ملتقى للنحت في مشتى الحلو اسمياه ملتقى «جمال الحب 2006» كان الملتقى بدعم مباشر من ورشة البستان للثقافة والفنون، عبد الحميد دعا إلى الملتقى عدد من طلابه وصديقه النحات محمد بعجانو.

نجح الملتقى في المفهوم التسويقي في العام الأول، فكررت التجربة في العام الثاني، ودعي الملتقى بالعالمي، إذ تمكن عبد الحميد من دعوة سبعة فنانين أجانب، وكان ينتظر مع فارس الحلو زيارة الأسد للملتقى بفارغ الصبر، كانت خطوة مماثلة كفيلة بجعل عبد الحميد النحات الأول في سوريا، فيما كانت أطماع فارس الحلو بعيدة عن النحت تماماً، إلى يوم جمعة لم يكن فيه فارس الحلو في موقع العمل، حين وصل الأسد مع زوجته وأطفاله، قادماً من اللاذقية باتجاه دمشق، وجال بين الأعمال، وأرهق عبد الحميد نفسه وهو يحاول أن يشرح ويفسر للأسد ما الذي يجري، في هذه الزيارة التقطت للأسد الصورة الشهيرة التي يحتضن فيها ابنه الذي يمسك بأزميل ويضرب الحجر، بات عبد الحميد يستخدم الصورة كغلاف كل كتيب يطبعه عن ملتقياته التي ينظمها.

بغياب الحلو عن زيارة الأسد، واتهامات كالها عبد الحميد له بأنه سرق جزء من الأموال المخصصة للفنانين، وتحصيل فوائد خاصة بعيدة عن الأهداف المرسومة للملتقى، انقطعت العلاقة بين الرجلين وقتل الملتقى ولم يكرر.

علي *عبد الحميد ... صراع الإزميل

عام 2009، تمكن عبد الحميد الذي خسر ملتقى مشتى الحلو وكسب دعماً من الأسد وحاشيته من تنظيم ملتقى دولي للمرة الأولى في دمشق، اسماه حينها «ملتقى النحت العالمي الأول» وقام كبادرة حسن نية بدعوة مصطفى علي إليه، كان عبد الحميد يرتبط بعلاقة قوية بوزير الثقافة آنذاك رياض نعسان آغا، وتولى منصب مدير الفنون الجميلة في الوزارة عام 2010.

الأسد يزور ملتقى النحت في مشتى الحلو

عمل نحت للفنان الياباني يوشينوبو أوجاتا | دمشق 2009

كان مصطفى علي يراقب عبد الحميد عن بعد، وفي غفلة عنه تمكن مصطفى علي من جعل محافظة دمشق تنظم ملتقى دمشق بدلاً من وزارة الثقافة في 2010، الملتقى كان بحق أكبر حدث نحتي تعرفه العاصمة، حشد له علي الفنانين من مختلف أنحاء العالم، وكما فعل عبد الحميد، كان علي ينتظر الأسد أيضاً، الذي لم يلبي دعوته لزيارة الملتقى، كانت كمية الكتل الصخرية التي استقدمها علي كبيرة، فنظم لهدف التخلص منها ملتقى دعا إليه فنانين سوريين يدرّسون في كلية الفنون الجميلة بدمشق، مع مجموعة من الخريجين الشباب، واسماه حوار بين جيلين، انتهى الملتقيان، ولم يصل الأسد، إلى يوم الخامس عشر من آذار 2010، حين اتصل علي بكل الفنانين السوريين الذي شاركوا في الحدثين وطلب منهم التواجد في الموقع عند السابعة مساءً «مدينة معرض دمشق الدولي القديمة».

أعطنا مالاً

عند السابعة والنصف وصل الأسد مع زوجته، وجالا بين الأعمال يستمعان إلى شرح عنها، وعن دلالاتها، بينما رافق علي الأسد ليشرح أعمال الفنانين الغائبين، انتهى الأسد من تجواله وكان الفنانون وبينهم يجمل شهادة دكتوراه قد اتفقوا على طلب دعم مالي من الأسد، فيما كانت الشائعات بينهم تقول إنه ولا بد سيعطيهم مالاً إضافياً بعد الزيارة، أجتمع الأسد مع زوجته بالمتواجدين في موقع العمل، وبدأ يشرح للنحاتين أهمية النحت، كان الجميع يصغي باهتمام أو بعدمه كي ينهي حديثه، ثم أنطلق بعضهم بالقول أنهم بحاجة إلى الدعم، وأن الفنانين التشكيليين في سوريا فقراء، هز الأسد رأسه ثم تحدث عن أهمية النحت في مواجهة إسرائيل، وشرح كيف أنه قرأ عن نحات ألماني يجسد الهولوكوست وصمت، عاد النحاتون إلى الشكوى واقترح أحدهم أن تقوم الدولة بتخصيص مراسم للنحاتين، لم يجب الأسد على أي فكرة أو شكوى ولم يعلق، كان الجميع ينتظر انصرافه وقد بدأ ببعض الخطوات باتجاه سيارته حين توقف فجأة وتذكر أن يلتقط الجميع صورة جماعية.

مرت أيام والنحاتون يتوقعون أن ينالوا مالاً إضافية على عملهم بعد أن لقائهم بالأسد، إلا أنهم تلقوا منهم صورة كبيرة تُظهرهم معه بلا أي نص سوا ذاك الذي كتب على المغلف الذي ضم الصورة «رئاسة الجمهورية».

تقدم مصطفى علي على أكثم عبد الحميد خطوة جديدة، وأصبح النحات الأول في سوريا، ورغم أن الزيارة الأخيرة للأسد إلى موقع الملتقى الأخير في دمشق كانت قد كشفت من أين وممن يشتري الأسد أعماله*، إلا أن علي شعر أنه بات قادراً على تنفيذ ما يريد في التشكيل السوري بعدها.

هوامش

- الملتقى الأول نفذته محافظة دمشق عام 1998 في قلعة دمشق.
- بطرس رمحين نحات سوري يُعد مع شقيقة لطفي من أهم النحاتين السوريين المعاصرين.
- تجربة ملتقيات حدائق النحت السورية في اسبانيا نظمت لست سنوات ومن أبرز المآخذ عليها أن عبد الحميد كان يكرر اسماء المشاركين فيها كل عام.
- سنوضح في الأجزاء القادمة هذه النقطة.
- الصورة: عمل النحات الياباني يوشينوبو أوجاتا الذي نفذه في ملتقى دمشق عام 2009 وقد وضع أمام مجمع مجلس الوزراء في كفرسوسة.

مولد كاتب معروف!

■ زكريا تامر

أصيب أحد أصدقائي بمرضين في آن واحد.. بزكام حاد وبرغبة في أن يصير كاتباً مشهوراً تتزاحم الجرائد والمجلات على نشر صوره وأقواله، وقد شفي من الزكام بفضل الأطباء والصيدليات، ولكنه لم يشف من مرض الكتابة.

سألته يوماً بفضول: كيف أتتك هذه الرغبة؟ هل جاءتك فجأة؟ هل أفقت صباحاً من نومك، وخطر لك أن تصير كاتباً بينما كنت تتمطى وتتثاءب؟ لا أدري كيف ستحقق رغبتك، فما أعلمه عنك هو أنك تكره حتى الإمساك بالقلم. هل كنت في المدرسة تلميذاً متفوقاً ينال أحسن العلامات في وظائف الإنشاء؟

فقال صديقي بصوت يقطر صدقاً: كنت أكسل تلميذ في المدرسة، وما زلت حتى الآن أجهل الفرق بين حرف الجر وعربة الجر، ولكن من جدّ وجد ومن صبر ظفر.

فقلت لصديقي وقد تزايد فضولي: إذن كيف تكونت لديك الرغبة في أن تصبح كاتباً؟

فقال صديقي بصوت غير مازح: كنت يوماً أنظر إلى المرآة، فتنبهت إلى أن هيئتي هي هيئة كاتب محترم، ولا ينقصني إلا الكتابة.

فقلت لصديقي ناصحاً: لا تصدق المرايا، وابتعد عن مهنة الكتابة، فهي شاقة عسيرة ظالمة، لا تمنح عاشقها إلا الهموم والمتاعب.

فتركني صديقي متصنعاً الموافقة على نصيحتي، ولكني عندما التقيته بعد أشهر، لاحظت أنه سعيد مطمئن شديد الثقة بنفسه كأنه وحده الذي يمشي على أرض صلبة، فقلت له: تبدو في أحسن حال، فهل تخلصت من تلك الفكرة المجنونة.. أن تصبح كاتباً؟

فنظر إلي صديقي بغيظ وعداء، وقال لي: أنت ظننت أنك ستنجح في خداعي عندما قلت لي إن مهنة الكتابة متعبة وإن التأليف صعب، ولكني اكتشفت خدعتك وكذبك، فالكتابة مهنة لذيذة والتأليف سهل.

فحملقت إليه طالباً بعض التفسير، فقال لي: أنت تعرف أني أشتري كل يوم كل الجرائد والمجلات، وقد خصصت لها في البيت غرفة واسعة، واخترت من كتاباتها عدة موضوعات: التمييز العنصري في العالم.. القضية الفلسطينية.. حرب الخليج.. النفط في الخليج.. انهيار الشيوعية.. النظام العالمي الجديد.. إفلاس القومية العربية.. الربيع العربي.. الديمقراطية ماضيها وحاضرها ومستقبلها، وزودت زوجتي بمقص حاد، وطلبت منها أن تقص في أوقات فراغها كل مقال أو تحليل أو تعليق يتناول تلك الموضوعات، وعندما تجمعت لدي كمية كبيرة من القصاصات عن موضوع واحد، ابتدأت التأليف: أدمج نصف هذا المقال بنصف ذاك التحليل، والبداية أجعلها نهاية، وأغيّر وأبدل، أقول عن الحائط إنه جدار، وعن البلاد العربية الشرق الأوسط، وكل عشرين صفحة أو ثلاثين صفحة أسميها فصلاً، وعندما انتهيت من التأليف، أعطيت مخطوطة كتابي الأول لناشر ذائع الصيت لأني لا أحب التعامل مع ناشرين جهلاء لا يهمهم سوى الكسب المادي فقط، وسيصدر الكتاب بعد أسابيع.

فقلت لصديقي بسخرية: إذا لم تكن تمزح وصدر كتابك فعلاً، فستكون فضيحة مدوية، وسيسلخ النقاد جلدك، وستأكل أصابع قدميك ندماً.

فقال لي صديقي بازدراء: أنت جاهل، فلكل ناقة ثمنها.

كاريكاتير الفنان دروار إبراهيم

تاريخ من لا تاريخ لهم
يوميات سجين

■ أحمد سويدان
1994 - 1991

1991/12/11

وردت أخبار تقول إن العقيد بركات العش مدير السجن هنا، سينتقل لاستلام إدارة سجن المزة، وهو مستقيم ويخاف اللّه , بدلاً من مدير المزة سيء السمعة والصيت بهجت صالح، وسيكون المدير هنا المقدم محي الدين مساعد المدير . وخبر آخر يقول إن قيادة 23 شباط ما عدا صلاح جديد نقلت من السجن إلى بيوتها مع الإقامة الجبرية،

إن طرق التراسل بين الطوابق سريعة وبين الأجنحة، تتم خلال المناور، وعبر الحمامات، ودورات المياه، والطرق على الحيطان، ولكن حتى الآن:

- لم يتم الإفراج عن عناصر البلديات المسجونين لأنهم رفضوا الخروج أثناء تجديد البيعة!!

- لم يتم الإفراج عن الفلسطينيين وهم موعودون، فالعلاقات قد توثقت بين المنظمة والنظام.

- لم يتم الإفراج عن اللبنانيين الذين لا بد أن يخرجوا على هامش الوثائق الأمنية المبرمة بين الحكومة اللبنانية وبين النظام.

وما دام لم يحدث تجاه هذه الفئات حتى الآن شيء , لا بد من أن يكون هناك ما ينتظر الجميع صدوره بما فيهم السوريون من كل الفئات.

1991/12/12

الزيارات التي جاءت نفت خبر قيادة 23 شباط، ولكن هناك خبر يؤكد وصول كل من نور الدين الأتاسي واللواء أحمد سويداني إلى الاستراحة وعضو القيادة مصطفى رستم وذلك لسوء أحوالهم الصحية . ويقولون أنهم علموا من الشرطة العسكرية وهم يأخذون بطاقة الزيارة أن الفرج بات قريباً. هل هذه الأخبار من صنع المخابرات للتغطية على ما يثار في الشارع؟.. فهناك نشاط سري للجنة حقوق الإنسان والدفاع عن المعتقلين السياسيين.

أشارت إذاعة إسرائيل أن هذه اللجنة السرية أوصلت بياناً إلى وكالة الصحافة الفرنسية مرفقاً بلائحة تضم 14 ألف اسم معتقل سياسي في السجون السياسية، ثلاثة آلاف اسم لأناس فقدوا . كما قال البيان: أن هناك أربعة آلاف ماتوا هذا العام في السجون، وقد قيل أن البيان واللائحة قد وزعا على الصحافة الفرنسية، كما وصلتا إلى أحد الوزراء المتوجه خلال هذين اليومين إلى زيارة سورية.

إن النظام يولي ظهره لكل الواقع.

إن النظام لا يرى المساجين، إنهم في كوكب آخر بالنسبة إليه , يتجاهل وجود رأي آخر كما فعلت الفاشية والنازية، يتجاهل وجود فقر مدقع، وغلاء فاحش، ووجود قانون طوارئ.

1991/12/13

الساعة الثامنة والنصف ليلاً نودي على كل من آصف دعبول وأبو علي زيدان كي يحزما أمتعتهما ويخرجا إلى الحرية ... إن المذكورين موقوفان منذ 1981 من قبل مخابرات القوى الجوية، الأول ملازم أول، والثاني موظف في مستودع السلاح، ومنذ اعتقلا جاءتهما زيارة واحدة عام 1990.

كنت أسلق السبانخ لأطبخها غداً عندما جاء الرقيب مع عدة عساكر وقرأ الاسمين، تابعت عملي، ومضى عايد نحو الطاقة، وتأكد من المهاجع واستبشر الجميع خيراً.

إذ هل يعقل أن يصبح المرء بين عشية وضحاها في البيت، ويمشي في الشوارع حراً، ويرى الناس ويروه دون أن يصرخ به أحد. أو دون قيد في رجليه ويديه .. قال القاضي أبو أيمن: إنني أعتقد يا جماعة أنني سأبقى في هذا السجن للأبد. لقد ترك هذا السجن ندوباً لا يمكن نسيانها، ندوباً ملأى بالحزن والوجل .. إن أنظمة الحكم العربية – وهذا منها – تجردت من كل إنسانية ومن كل إحساس.

1991/12/14

في الساعة الثانية بعد الظهر نودي على علي حامد، ومحمد فاضل فطوم وعيسى حداد وعادل اسماعيل، الأول مقدم، والثاني رائد والثالث رائد والأخير نقيب مهندس، وقد اعتقلوا 1979، فذهبوا إلى الإدارة، فأبلغهم بركات العش عن إخلاء سبيلهم . وأضاف : إن القوائم كثيرة وسترد وراء بعضها، وربما مساءً سيخلى سبيل معتقلي أمن الدولة، وأكد أن الأيام القليلة القادمة ستحمل قوائم بالكثيرين، وعاد الأربعة وأبلغوا الجناح وبدأوا بارتداء ملابسهم لمغادرتنا، واجتاحت الجناح الفرحة الطاغية.

وصلتنا معلومات عن سجن المزة تقول: هناك عصابات تسرق المساجين من مواد زيارتهم، وتهرّب حشيشة الكيف، ومدير سجننا العقيد بركات العش ألمح إلى ذلك وأنه ماض إلى هناك لوضع حد للفوضى.

1991/12/15

الآن تشير الساعة إلى العاشرة صباحاً، والجميع يشعر أن إخلاء السبيل واقع . ومنذ قليل أخبرنا سمعنا أن قائمة وصلت السجن، وهو لا يعرف عدد الأسماء، ولا أية قوى سياسية تضم، وفي الليل جاء خبر عن طريق نوافذ المناور أن قائمة لأمن الدولة قيد الوصول، ونتيجة هذه الحالة يعيش الجميع حالة القلق والانتظار.

بعد الظهر أفرج عن عدد من التيار الديني، وأكثرهم ليس لهم زيارات منذ عشر سنوات، وقيل أن العدد يصل إلى الثمانين . وبعد الظهر أفرج عن 130 من بعث العراق ومنهم من اعتقال 1977 . ونتوقع أن يفرج بعد المغرب عن الذين قدموا للمحاكم، ونتوقع خلال يومين أن يأتي دورنا.

أتابع مقالات في مجلة «المستقبل /العربي/ لعام 1991 وفي مجلة /الناقد/ عام 1990 شهر شباط».

1991/12/16

أفرج اليوم عن عشرة أسماء من فصيلنا، ومن اعتقالات 1981. وقد جرى غلط باسم ديب أبو نقطة من طفس , وآخر لم يرد له اسم وهو أحمد النابلسي من بلدة ناصر التابعة لازرع . أما الذين أفرج عنهم فهم: غسان سماره من ازرع، ونايف العيد من طيسيا جنوبي بصرى الشام على حدود الأردن، وعلي الرفاعي مهندس زراعي خريج تشيكوسلوفاكيا وهو من الاتحاد اشتراكي، معتقل منذ 1980 ومن قرية أم ولد على حدود الأردن، ومسلم منصور من قرية ناصر معلم مدرسة، وبشير سليمان معلم من إذرع، وحمد قطان مدرس من السويداء، وحسن بردان من طفس مزارع، وعبد الغفار طوشان المقداد من غصم وجريس محمد شهاب معلم من إزرع، أصلاً من القنيطرة، ونزح بعد حرب 5 حزيران، وأبو طارق ضميرية من التنظيم الناصري.

وقد سمعنا أن جهات من الأمن أرسلت ثياباً وأحذية للمرضى غير المزارين الذين سيفرج عنهم ز وسرت اشاعة أن أخرجوا الكتابات، فالتفتيش ليس دقيقاً.

الخوف والمقاومة.. بناء الهوية العلوية في سوريا (3)

فصل من أطروحة ماجستير في الجغرافيا البشرية في قسم علم الاجتماع والجغرافيا البشرية | جامعة أوسلو
■ تورستاين شيوتس وورين - شباط 2007 | ■ ترجمة: د. ياسر نديم سعيد
رابط النص الأصلي كاملاً: torstein.worren.info/downloads

العلاقات بين العلويين والسنّة

أكبر انقسام طائفي في الساحل السوري هو الانقسام بين العلويين والسنّة. يعرّف العلويون أنفسهم بعلاقتهم بالسنّة قبل كل شيء، ويستخدم العلويون الصورة النمطية للسنّة كأناس تقليديين ومحافظين عندما ينشئون أنفسهم كنقيض للسنّة تماماً. عند الحديث عن الانقسام العلوي السنّي تتبنى مصادري من العلويين آراءً تتراوح بين الازدراء واللامبالاة، ولكن كما سبق ذكره يميّز العلويون دائماً بين الأشخاص والجماعة نفسها. كثيراً جداً ما يتحدث العلويون عن تشككهم تجاه السنة ولكنهم في نفس الوقت تماماً يعرفون من هو المختلف، ويشرح العلويون ذلك بأن كونهم ليسوا سنّة نموذجيين ناجم عن مشكلة المجتمع السنّي وليس ناجماً عن كونهم خلقوا سنّة.

يرتبط هذا الأمر بالخوف الذي ورثه العلويون بشكل عميق والذي نشأ من الإيمان الراسخ بأن السنّة في الجوهر يؤمنون بأنهم الوحيدون الذين يعرفون الإسلام الحقيقي، وأن هذه الحقيقة يجب أن تنتشر بالقوة بين المسلمين الآخرين الذين اختاروا الطريق الخاطئ. في النهاية يتراجع كرههم للسنّة إلى إدراك أن السنّة لا يحبون العلويين.

وهذا الأمر ينشئ السنّة في طريق مباشر موصول بالسردية التاريخية التي تتركز على قمع واضطهاد العلويين. أحد مصادري وهو ممثل للخطاب النقدي العلوي الذي يضع الدين العلوي بعيداً جداً عن التيار الرئيسي للإسلام عبّر عن هذا الأمر في إحدى محادثاتنا حول الموضوع قائلاً: « لا أعرف لماذا يكرهوننا».

يُنمي هذا الأمر على تصوير السنّة كمتعصبين دينياً ويحكمون على العلويين طبقاً لوجهات نظر متطرفة تتبع تفسيرات دينية تشبه تلك التي تعود إلى ابن تيمية. يقول مصدر صريح آخر من مصادري حين التحدث عن كيف أن العلويين لا يصلون في المساجد، وأن نساءهم لا يرتدين الحجاب، يقول أن العلويين في نظر السنّة: «نحن كفار لأننا لا نتبع هذه القواعد، وأن السنّة المتطرفين يؤمنون بأنهم إذا قتلوا زنديقاً فسيذهبون إلى الجنة بعد ذلك». يقول هذا المصدر أن وجهة النظر هذه مسألة ناجمة عن التربية والتعليم أكثر مما هي ناجمة عن الدين، وأن المشكلة أن 40٪ من السوريين لا يتلقون تعليماً مناسباً بل يتلقون بدلاً من ذلك تعليماً دينياً في المساجد وهذا ما يعطيهم أساساً دينياً متأصلاً في فهمهم الكلي للمجتمع السوري وطوائفه.

نجد في نفس الوقت أن المجتمع السوري يصبح أكثر انفتاحاً وتسامحاً، ولكن هذه عملية نجدها غالباً في الطبقات الوسطى. القلق الأكبر لدى مصادري يكمن في العقائد السنّية وليس في حقيقة أن غالبية السنّة تحمل هذه العقائد المتطرفة. وليس مفاجئاً أن يكون بين مصادري من هو صاحب أقل تفاعل مع السنّة ويبدو في نفس الوقت الأكثر تصنيفاً للآخرين والأقل جاهزية للاعتراف بالسنّة كمجموعة غير متجانسة.

تبدو مصادري في مدينة اللاذقية (المدينة المختلطة جداً) أكثر انفتاحاً من مصادري في الجبال الساحلية لفكرة وجود سنّة مختلفين. يلعب العمر على ما يبدو دوراً في إدراك السنّة. للأسف فإن أعمار معظم مصادري تتراوح بين 20 - 40 عاماً ولكنهم يخبرونني كيف ينظر آباؤهم وأجدادهم للأمور بطريقة مختلفة عنهم. تقول مصادري أنه في معظم الحالات كلما كان الشخص أكبر في العمر كلما كان أكثر انتقاداً للسنّة، ويُرجعون ذلك إلى خبرات المسنين في التمييز ضدهم والتي تعود إلى أربعينيات القرن الماضي. أخبرتني إحدى الفتيات من أب سنّي وأم علوية أن جدتها لأمها اعترفت لها أنها لم تتقبّل أبداً زواج ابنتها من سنّي.

جبال العلويين في الساحل السوري

بالنسبة لها فإن الظلم الذي عاشته كان ذاكرة حية فذكريات طفولتها كانت حول سوء معاملة العلويين وانتهاكهم بدنياً في الأماكن العامة من قبل أسيادهم من السنّة. لم تنعم الأجيال الشابة التي نشأت بعد الاضطرابات الطائفية التي تصاعدت عام 1982 إلا بالسلام والاستقرار بعد ذلك الوقت، وبالنسبة لهم فإن قصص آبائهم وأجدادهم المرعبة هي تاريخ أكثر منه واقع.

قلة من العلويين تعترف بوجود صراع طائفي بين العلويين والسنّة في المنطقة وفي البلد، ولكنها حين التحدث بوضوح عن «الصراع» كجزء من السؤال يجيب معظمها بالنفي، ويقولون أن قلة من المتطرفين ترغب في الصراع، ومع ذلك تصبح التعليقات أكثر بغضاً عندما يشعر أولئك أنه تم التعامل معهم بشكل سيء على أساس دينهم. قلة أيضاً من مصادري الأكثر شباباً ممن تستخدم كلمات أقسى وتصف الوضع العام بطرفين يكرهان بعضهما البعض، وتنظر إلى هذه الوضعية كحرب اندلعت بين مجموعتين.

أحد مصادري من الخلفيات المختلطة والذي يعترف بأن العديد من المظاهر في المجتمع السوري يمكن وصفها بالأمور المكتنفة بهذا الصراع، هذا المصدر يصف الوضع في مدينة اللاذقية المختلطة بالمعركة الديموغرافية حيث ينظر العلويون والسنّة للسكان كقوة بنيوية. هذا يعني أنه إذا تزوجت فتاة علوية من رجل سنّي فإن العلويين يخسرون أفراداً من أولاد هذا الزواج مما يضيفهم إلى أفراد السنّة. صادفت قصة أخرى في اللاذقية أيضاً حيث تم إخباري بواسطة شخص يعمل في الإدارة العامة أن هناك تذمراً بين السنّة في القسم الذي يعمل فيه لأن رئيس القسم (السنّي عرفاً وفق قواعد غير مكتوبة) قد جرى استبداله الآن بشخص علوي، وهذا شيء يصنّفه مصدري كأمر مربك للوضع القائم. من النادر على أي حال أن يُصادف المرء مثل وجهات النظر المتطرفة هذه، وحتى إذا كان لدى أحد مصادري الأخرى مثل هذه الإدانات المتناقضة فأنا لا أتوقع أبداً منهم الاعتراف بوجودها لأنهم لا يرتاحون لوصف أنفسهم كمكروهين وليس ككارهين لأنفسهم.

العلاقات بين العلويين والمسيحيين

يشكل المسيحيون كما تم شرحه أعلاه «شاهد النفي» للعلويين كمتسامحين ومنفتحين عقلياً تجاه الأديان الأخرى. عندما يتحدث العلويون عن التعايش الطائفي وعن أنهم لا يمتلكون أحكاماً مسبقة ضد الطوائف الأخرى فإنهم عادة ما يشيرون إلى المجتمع المسيحي في سوريا. يشير العلويون في سردياتهم التاريخية إلى المسيحيين بشكل مفضّل ويستخدم الكثير من مصادري هذه السردية لشرح العلاقة الجيدة بين العلويين والمسيحيين. الأكثر من ذلك أنهم يقولون أن العلويين والمسيحيين متشابهون جداً ثقافياً وأن كلا المجموعتين متسامحة ومنفتحة عقلياً. هناك أيضاً حالة مشاركة للقدر في خضوع الأقليتين كما تشعران للأغلبية السنّية. يؤكد أحد مصادري من الأكاديميين هذه النقطة قائلاً أن وجود خصم مشترك يقرّب بين المجموعتين، ولكنه سرعان ما يشير إلى أن ذلك لم يكن ليحدث لو لم تكن المجموعتان متفقتين كثيراً في الثقافة ووجهات النظر.

لا توجد فروق كبيرة بين الخطابين العلويين عند وصف هذه العلاقة، ولكن الخطاب العلوي الإسلامي يركّز أكثر على التشابه الاجتماعي بين المجموعتين مستخدماً العديد من العلامات نفسها في تفريق العلويين عن السنّة. يتم إلقاء الضوء على التسامح والتحرر والتاريخ المشترك في القرى والمناطق المختلفة. بعض هؤلاء يستخدم الخطاب العلوي النقدي أيضاً لذكر التشابهات الدينية مع المسيحيين لتقوية هذا الرابط. أحد مصادري يشرح بشكل صريح أن التثليث العلوي قريب جداً من التثليث المسيحي، وأن هذا الأمر يُظهر تشارك المعتقدات. تشير مصادر أخرى إلى أن العلويين والمسيحيين يتشاركون بمعتقداتهم حول القديسين ويتشاركون في العديد من مقامات الأولياء في الجبال المحيطة بالساحل السوري. يوجد على ما يبدو فخر معيّن بين العديد من العلويين في تشاركهم مع المسيحيين وكأن المسيحيين يشكلون أمراً مثالياً يرغبون بالتشبه به. هذا الأمر منتشر أكثر بين أصحاب الخطاب العلوي النقدي، ولكن يبدو أن العلويين الآخرين ينظرون أيضاً للمسيحيين بتقدير عالٍ. من الممكن أن يكون السبب في ذلك هو أن المسيحيين في سوريا حسّنوا حياتهم، ولكن السبب أيضاً يكمن في التشارك بنفس الدين مع أوربا. يشكل نمط الحياة المرتبط بأوربا في كثير من الطرق أيضاً أمراً مثالياً بالنسبة للعديد من العلويين، ولذلك يتم إسقاط ذلك بطريقة ما على المسيحيين في سوريا.

قال أحد أصحاب الخطاب العلوي النقدي أن العلاقة مع المسيحيين هي أساس المشكلة مع السنّة: «هذا هو سبب كرهنا، لأننا نشبه المسيحيين». وقال آخر بشكل صريح أنه يتمنى لو كان مسيحياً وليس علوياً.

هذا هو جوهر إشكالية العلويين، فالعلويون يقدّمون أنفسهم كقريبين جداً من المسيحيين ثقافياً ولكنهم مسلمون. وحالما يعرّفون أنفسهم بالهوية الإسلامية يصبحون ضحايا للهيمنة السنّية التي تمتلك قوة بناء الهوية. ما يعنيه مصدري من قوله بأنه يرغب لو كان مسيحياً إذن أنه عندما يكون مسيحياً يصبح قادراً على الحياة كما يعيشها الآن ولكن سيتم الحكم عليه بمعايير مختلفة بسبب نمط الحياة المتوقع عند المسيحيين. على أية حال فإن العلوي كمسلم بالرغم من أنه علوي هو ضحية للهوية المسلمة التي أنشئت بواسطة الهيمنة السنّية التي تقرر السلوك المتوقع لأتباعها.

إحسان نراغي: من بلاط الشاه إلى سجون الثورة

■ ياسر مرزوق

كتابنا اليوم إضاءة على زلزال سياسي حاسم في تاريخ إيران والمنطقة بشكل عام، يقدمها عالم الاجتماع إحسان نراغي الذي عايش عن كثب سقوط إمبراطورية آل بهلوي وولادة الثورة الإسلامية، ففي الساعات الخمسين التي قضاها مع الشاه خلال الأيام الأخيرة من حكمه، كما في الثلاثة والثلاثين شهراً التي قضاها في سجون الثورة، كان إحسان نراغي ثاقب البصيرة في الحالتين. وقدم لنا كتاباً قيّماً وسهل المتناول في آن معاً أثناء تسليطه الضوء على منعطفي الثورة الإيرانية.

يقول نراغي «في 16 كانون الثاني 1979، غادر الشاه إيران، كان هذا بعد يومين من الحديث الأخير الذي أجريته معه فبدا واجباً على اتجاه بلدي وتاريخه، أن أكشف الخصوصيات النفسية لرجل ظل لعقود عدة، وذلك قبل أن يشهد انهيار حُكمه بنفسه، أحد القادة الأكثر نفوذاً في العالم فباشرت على وجه السرعة بكتابة مذكراتي لتأتي شهادة أمينة وصادقة قدر الإمكان».

«في القسمين الذين يحتويهما الكتاب « القصر والسجن « ثابرت كمشتغل في التاريخ على نقل الأحداث بأمانة بعيداً عن أي حكم تقويمي وبعيداً كما أرجو عن أي روح انحيازية، سعيت لأن أظهر في جميع الظروف حقيقة الناس، سواء تعلق الأمر بالشاه، أو بالمناضل الثوري الذي كان على وشك أن يعدم، أو بالسجان، لقد أردت أن أفهم الناس كما هم، كما يجيئون إلى العالم كي يحبوا ويتعذبوا ويموتوا، إذا لم استطع بلوغ هذا الهدف بشكل كامل، فليسامحني القارئ لأن لكل امرئ حدوده ونقائصه».

قدم للكتاب المفكر «محمد أركون» وتحت عنوان «هل من الممكن اليوم وجود مثقف مسلم» قائلاً: «إن مثقفاً استطاع أن يكون له باب إلى قصور الشاه الباذخة، وإن كان الأمر يتعلق بانتقاد سياسته ودفعه إلى احترام أكبر لقيم الشعب والإسلام، لا يمكنه أن ينجو من صرامة الثوريين، نتذكر هنا نموذجاً شهيراً هو ابن المقفع المتوفى حوالي عام 757 كاتب الرسالة الشهيرة للخليفة المنصور الذي اغتيل أثناء ما يسميه المؤرخون الثورة العباسية. وعلى الرغم من أن عصوراً تفصلنا عن ذلك، إلا أنه يمكننا التحقق من استمرارية نموذج ما لالتزام المثقف وهشاشة عمله ونبذ كتاباته أو مقالاته والارتياب من حضوره ضمن السياق الإسلامي.

هذا علاوةً على الشجاعة والصبر وحس التواصل وإرادة الكشف والتيقظ النقدي وصرامة الرأي والأمل بالإقناع للحد من التجاوزات واستباق ما يتعذر إصلاحه وفتح آفاق للتقدم، وكل ذلك يجب أن يمتحنه المثقف أمام المؤيدين في المطلق للنظام الغربي، ثم حيال المسؤولين المتعجرفين عن كلام الله».

وفي تقديم لفريدريك مايور الفيلسوف الإسباني المقرب من القصر الملكي. يقول: «لا شيء أبعد من تجربة نراغي التي أنجزها بإتقان في كتابه، تجمع بين الحقيقة التاريخية المتباينة والمقاربة المرهفة للنفوس، عن المانوية، ومع ذلك فمن الأرض نفسها، من بلاد فارس القديمة، انطلقت تعاليم ماني وتلاميذه المانويين برؤيتهم القصوى للطبيعة البشرية المتمثلة في صراع لا يرحم بين الخير والشر، ينشر نراغي كتابه بعد

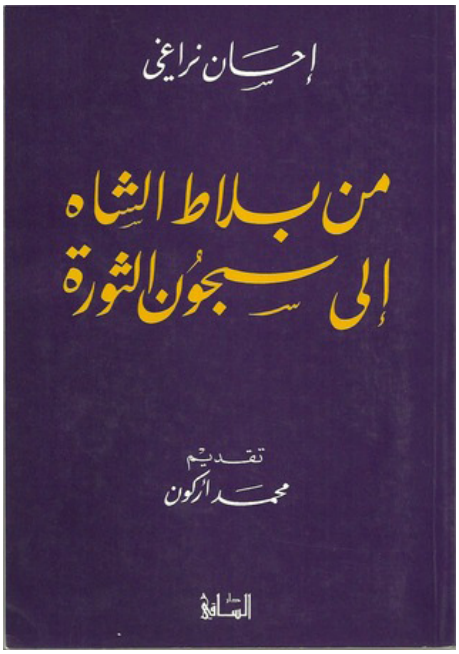

أعوام عديدة على انقضاء المأساة الشخصية للشاه محمد رضا بهلوي الذي أنهى حكمه وأيامه تعيساً متسكعاً من فندق إلى فندق، يحل ضيفاً مزعجاً على البلدان التي كانت تدعوه منذ وقت ليس ببعيد صديقها.

ظهر الكتاب في وقتٍ كشفت فيه الثورة الخمينية عن قوتها وضعفها في آنٍ واحد، ملطفةً جانبها الدوغمائي من خلال تجارب قاسية وتعديلات، ومقيمة الدليل قبل كل شيء على الطابع المغلوط للتحاليل السياسية التي تصر على تقرير مصير الشعوب المتجذرة في ثقافات ومعتقدات مختلفة، استناداً إلى تصورات تدعي زوراً الكونية».

حوى القسم الأول من الكتاب والذي أتى تحت عنوان «في قصور الشاه» سلسلة من اللقاءات بلغ عددها ثمان لقاءات، تمحورت كلها تقريباً حول استفسارات الإمبراطور عن، الوضع العام للشعب الإيراني، خلال هذه الفترة الحرجة، والتي كان الاحتقان فيها يزداد يوماً بعد يوم، جذور هذا الاستياء الشعبي، الذي بلغ في بعض أوجهه حد العصيان العام، وأنجع الحلول لمواجهة هذه الموجة العارمة من الغضب الشعبي، عبر تأليف حكومات مختلفة، وعبر إحداث تغييرات جوهرية، في نظام الحكم، أو في سلوكيات أفراد الأسرة المالكة أنفسهم، كما احتوى على نظرات للكاتب في دور النساء في حياة الشاه خاصة أخته واسعة النفوذ الأميرة أشرف الملوك التي لعبت أدواراً بارزة على الصعيد الخارجي للإمبراطورية، إلا أنها في نفس الوقت أضرت بها داخلياً بسبب تورطها في الفساد، والإمبراطورة فرح ديبا التي بقيت ظلاً للشاه ولم تفلح في لجم فساد العائلة.

في اللقاء الأول قال نراغي للشاه وفي دلالة واضحة عن تسرب الأفكار الدينية للشباب، واستغلال رجال الدين لها: «كما ترى يامولاي أنت محاصر من وراءك شخصية الإمام علي كنموذج للحاكم العادل الذي هو فوق الشبهات، ومن أمامك الإمام الثاني عشر الذي يعتبر المؤمنون رجوعه وشيك الوقوع».

كما ينقل نراغي عن الشاه استغرابه لموقف المفكر اليساري جون بول سارتر مع المعتقلين الإسلاميين، ويوضح له أن الاهتمام بالسجناء الذين يعذبون يجب أن يشكل الاهتمام الأولي للفيلسوف، وأن سارتر كان أول من اعترض على المصير الظالم الذي يتعرض له الشعبان الفيتنامي والكمبودي على يد أنظمة شيوعية.

في القسم الثاني وتحت عنوان سجون الثورة، يروي لنا إحسان نراغي تفاصيل عمليات اعتقاله الثلاث، الأولى التي تلت قيام الثورة بأسابيع قليلة، ولكنها لم تمتد لأكثر من أربعة أيام.

أما الاعتقال الثاني فكان في نهاية عام 1979 أثناء رحلته إلى باريس حيث كانت مخطوطة كتابه عن أحاديثه مع الشاه موجودة ضمن الحقائب، ولكنها وصلت إلى باريس ليتسلمها ابنه، بينما هو اتخذ مساراً آخر قسراً وهو الاعتقال الثاني الذي امتد حتى شهر نيسان من العام 1980م.

أما الاعتقال الثالث، فقد امتد 26 شهراً، وكان هذا الاعتقال قد تم على إثر ما حدث في البرلمان من نزاع بين رجال الدين المقربين من الخميني والرئيس بني صدر، وقد تم تداول اسم «احسان نراغي» مرتين أثناء النقاشات البرلمانية، وذلك في إطار الهجوم على الرئيس بني صدر، حيث أنه من المعروف أن إحسان نراغي هو من مهد الطريق قبل عشرين عاماً تقريباً من ذلك التاريخ للطالب بني صدر لأجل إكمال دراساته العليا خارج إيران، إذاً فقد كانت الظروف توحي بأن اعتقالاً آخر قادم بالطريق، وهو ما تم بالفعل بعد ذلك بأيام قليلة.

لقد كان لكل اعتقال ظروفه، وسماته، والتي كانت تعكس ما يجري في إيران من اضطراب سياسي، واجتماعي وثقافي واقتصادي وإعلامي، تلا قيام الثورة، وقد كان الاعتقال الثالث الأشد مأساوية، حيث كانت إيران تمر بظروف داخلية وخارجية أكثر خطورة مما مر بها قبل من أحداث.

يقول نراغي عن الثورة: «ليس صحيحاً أن الثورة في إيران كانت بيضاء قطعاً، فكم من دماء نزفت، ونفوس أزهقت خلال الأحداث ما قبل وما بعد الثورة، ولكن المشهد اللحظي لرحيل الشاه، وتقلد الثوار زمام الأمور، هو الذي يُبرزه الثوار للعالم، مضخمين إياه، ومُدللين على أن ثورتهم كانت سلمية تماماً، وفي الأمر هذا وجهة نظر أخرى، فمحاكم الثورة أصبحت تحظى بسمعة سيئة، بل أن أول قضاتها «خلخالي» سماه البعض بالجزار»لكثرة أحكام الإعدام التي كان يطلقها».

وعن التهام الثورة لأبنائها ابتداءً برئيس الوزراء شهبور بختيار، ورئيس الوزراء مهدي بازركان، ورئيس الوزراء أبوالحسن بني صدر وغيرهم كثيرين يعلق نراغي: «كما هي عادة الثورات.. في البداية، تتوحد فيها الألوان والأطياف المختلفة، وما أن تقوم الثورة حتى يبدأ أبناءها في كل بعضهم بعض، في إيران لم يختلف الأمر كثيراً، واستطاع رجال الدين بذكائهم، وما كان بأيديهم من وفرة مالية، وسلطة روحية، أن يحسموا الأمور لصالحهم، وأن يقصوا بقية القوى السياسية الإيرانية الشيوعية والقومية وغيرها، ولعل الأحداث الأخيرة في إيران تلقي ضوءاً على بقايا هذا الصراع الذي أعتقد البعضُ أنه حُسِمَ منذ زمنٍ بعيد».

كم تحتاجون العودة للمدارس أيها الكبار، ولكن سنكون نحن الصغار معلميكم. ثم إن العالم سيكون أفضل حالاً.
ريف سوريا - 2014 | تصوير: باسل حسو

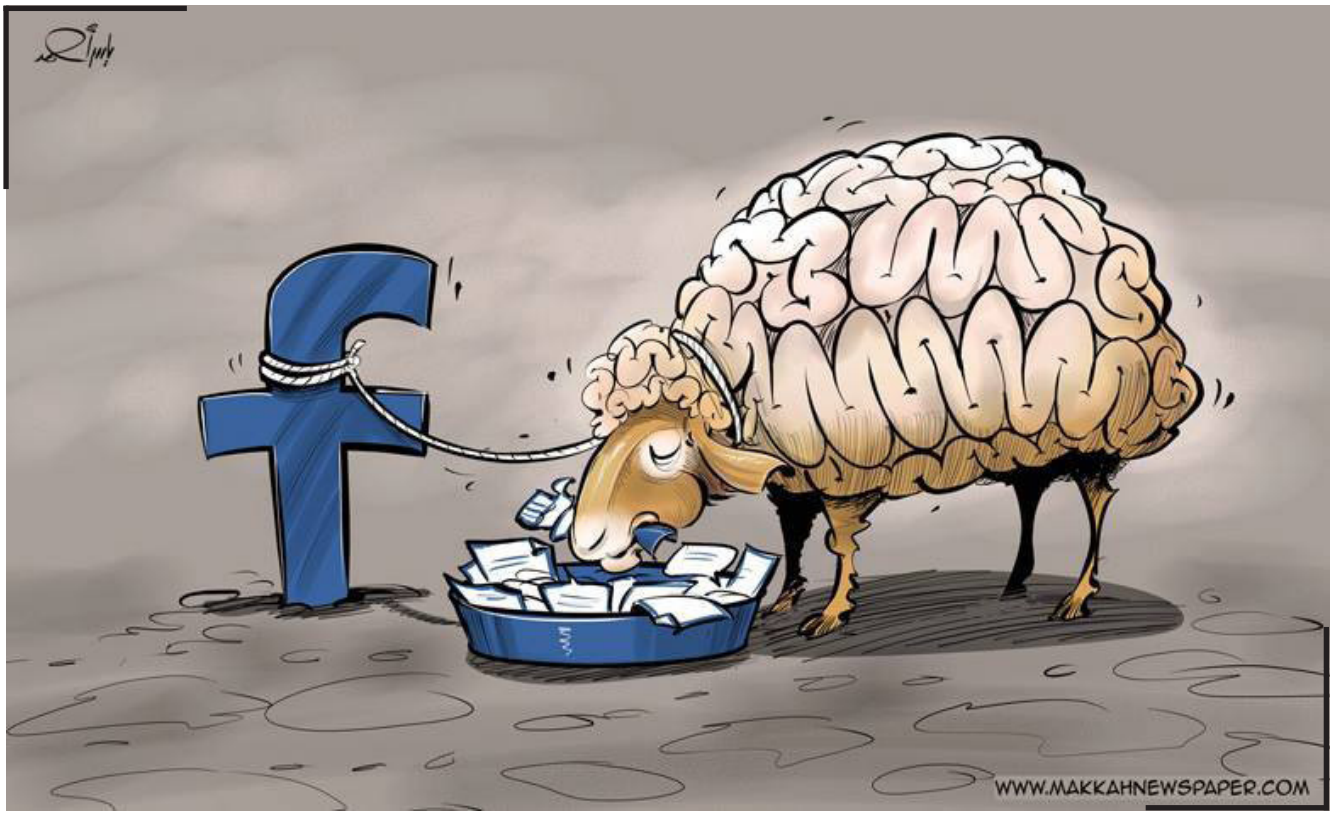

كاريكاتير الفنان ياسر أحمد

عمل للفنان هاني عباس

ما بعد المجزرة

■ زليخة سالم

كـمّ مـن الصـور والشـهادات التوثيقيـة التـي بثهـا الناشـطون والمراكز والمنظمـات المعنية لمجـزرة العصر، مجزرة الكيميائي في الغوطة الشرقية في آب الماضي، ولكن ما لا يستطيع أحد توثيقه مما حدث هو مشاعر الخوف والرعب والآثار النفسـية، الذي عاشه ويعيشه الأهالي وهم يصارعون الموت في لحظات سريعة تخطف الأرواح، والأمراض النفسية والجسدية التي سترافق جيلا كاملاً ممن نجا من أبنائنا.

صور الضحايا التي انتشرت بفضل الإعلاميين والناشطين الذين دفع قسـم كبير منهم حياته ثمناً لذلك، لن تمحى من الذاكرة وسـتبقى وصمة عـار على جبين الإنسـانية والعالم الذي كشـفت الثورة السورية زيف قيمه الأخلاقية والإنسانية التي كان يتغنى بها.

حالة الهلع والرعب التي أصابت السـكان «والتي وصفها شهود بيوم القيامـة أو يوم الحشـر جراء القصـف بالكيميائي « لا يمكـن أن يصفها إلا مـن عاشـها ونجا منها، مثل أم كانت تبحث عـن أبنائها وزوجها، وأب يبحـث عن عائلتـه، وطفل فقد كل مـن حوله، وهم أنفسـهم يصارعون الموت نتيجة استنشـاقهم المواد الكيميائية السامة، ويسترقون الدقائق أو السـاعات المتبقية لهم للاطمئنان عن ذويهم، هذه المشـاعر التي لا يمكن لكاميرا أن تنقلها مهما بلغت دقتها، رغم أهميتها الكبيرة في نقل الأحداث وتوثيقها.

الذعر والخوف الذي أصاب الكثير من الأهالي نتيجة إشـاعة انتشـرت حـول دفن الكثير مـن المصابين وهم أحياء نتيجـة دخولهم في غيبوبة بعد تواتر أخبار في حينها عن أشـخاص اسـتفاقوا مـن الغيبوبة، بعد أن كانوا في عداد الشـهداء، مشاعر صعبة وقاسية ومؤلمة سترافق من بقي حيـاً من الأهالي ممن فقدوا أحد من ذويهم طيلة حياتهم، وسـتراودهم الشكوك والأرق في أن أحبابهم ربما دفنوا أحياء.

المفقـودون جراء المجـزرة، وعـدم معرفة الأهالي عـن أماكن دفن ذويهـم وأحبابهم، نظراً لحالات الدفـن الجماعي التي حصلت في حينها، مأساة أخرى يعيشها سكان الغوطة.

آثـار الكيميائـي بعيدة المـدى بدأت تظهـر في الـولادات الجديدة المشـوهة فـي الغوطة، ثلاث ولادات حتى الآن لطفلات مشـوهة بعيوب خلقيـة من الدرجـة الأولى، وتشـوهات متعددة مثل غياب طرف سـفلي بالكامل، وتشـوه الآخر، وغياب شـرج، وأعضاء تناسلية، ومشاكل تنفسية بسبب تعرض الوالدات للأسـلحة الكيميائية، أدت إلى وفاتهن مما يرفع عـدد ضحايا المجزرة التي لن تقف عن حـد قريباً، حيث أكد مكتب توثيق الملف الكيميائي السوري أن آثار استخدام الأسلحة الكيميائية ومخلفاتها المتبقية ستؤدي إلى ولادات مشوهة لسنوات طويلة، وأن هذه التشوهات لا تقتصر على الإنسان بل تؤثر على الحيوانات وعلى كل شيء حي.

غوطة دمشـق التي كانت تشـتهر بخصوبة أرضها وجـودة مياهها، وتنـوع مزروعاتها من الخضـار والفواكه، تعاني الآن بسـبب الحصار من الجوع، بسبب الحصار، وبسبب ارتفاع أسعار المواد الغذائية إلى مستويات قياسية، وخيالية بالنسبة لقسم كبير من السكان الذين باتوا يرزحون عن وطأة الفقر الشـديد، نتيجة نفاذ المدخـرات، والبطالة، أو فقدان المعيل، ووحدهـم تجار الحروب شـركاء النظـام في حصار الأهالي واسـتغلالهم، إضافة إلى انتشـار الأمـراض والأوبئة نتيجة نقص الميـاه وتلوث المناخ ونقص الأدوية اللازمة للعلاج.

ولم تسـتلم مناطق الغوطة سوى مساعدات بسيطة جداً من الصليب الأحمـر الدولـي، لا تفـي باحتياجات السـكان الماسـة للمـواد الغذائية والإنسـانية والطبية، رغم المناشدات المتكررة لإنقاذ الأهالي، بذريعة أن الجيش الحر، والكتائب المسلحة لا تستطيع أن تحمي قوافل الإغاثة.

إصـرار الكثير من أهالي الغوطة المحاصرة بشـكل كامل منذ حوالي السنتين، على البقاء داخل مناطقهم رغم كل هذه الظروف، وعقاب النظام لهم بقطع الكهرباء والمياه والاتصالات عنهم نهائياً، واستهدافهم يومياً بكل أنواع القصف الجوي والمدفعي، والمفخخات، والكيميائي، في صمود قـل نظيره، يدل على أن هذا الشـعب الحي الذي يختـرع بدائل للحياة لا يمكن أن يكسر أو يهزم أو يموت، رغم كل الجرائم والمجازر التي ارتكبت بحقه.

مـن أدوات الموت « الصواريخ والقذائف «التـي يقذفهم بها النظام صنـع أهالي الغوطـة الصامدون أدوات للفرح، ففي دومـا مثلاً اخترع أحد الهوات أدوات موسـيقية « درامز، وطبلة وغيرها مـن الأدوات « وهاتف، ومدفأة، وأصيـص للمزروعات، وترامـس للمياه، كما اسـتطاعوا اختراع أدوات لتوليد الكهرباء، وكباسات لاستخراج المياه من الآبار التي حفروها، ويزرعـون أراضيهم بالخضراوات والحبـوب لتأمين بعض المواد الغذائية التـي منـع النظام إدخالهـا عبر حواجـزه المحيطة بالغوطة في سياسـة ممنهجة لتركيع الأهالي وإجبارهم على الاستسلام.

لقـد عاش السـوريون كل أنواع المـوت قصفاً بالصواريـخ والقذائف والبراميل المتفجـرة، وذبحاً، وحرقـاً، وغرقاً، وجوعاً، وخنقـاً بالكيميائي، باستثناء موت الأمل والحلم بسورية الحرية والعدالة والقانون والمواطنة.

شهداء سوريا

مجموع الشهداء (102792)

دمشق: 6925
ريف دمشق: 23535
حمص: 13512
درعا: 9354
إدلب: 11175
حلب: 20426
دير الزور: 6135
الرقة: 1204
السويداء: 80
حماة: 6889
اللاذقية: 991
طرطوس: 363
الحسكة: 718
القنيطرة: 763

8275 عدد الأطفال الذكور
3794 عدد الأطفال الإناث
7520 عدد الإناث
28689 عدد العسكريين
74095 عدد المدنيين

المصدر: مركز توثيق الانتهاكات في سوريا 24 / 8 / 2014
http://www.vdc-sy.info/